

التدوّة العِلْمِيّة الدّولِيّة العَاشِرَة



الأمنُ المِلّائيُّ في السَّنَنِ النَّبَوِيَّةِ

الاسْتِراتِيجِيَّاتُ وَالْمَقاصِدُ

مُلَخَّصاتُ البُحُوثِ



الندوة العلمية الدولية العاشرة

الأمن والملي في السن النبوية

الاستراتيجيات والمقاصد

ملخصات البحوث

٢٠٢١/٦/٣-٢



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فبفضل الله تعالى، ثم برعاية رئيس مجلس أمناء الجامعة، معالي جمعة الماجد، وبمؤازرة سعادة مدير الجامعة الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن قُيُصُ لندوة الحديث الشريف الاستمرارُ على مدار عَقْدَيْنِ من الزمن، دون انقطاع أو تعثر، إلى صيت عالٍ وحسن أُحْدُوثَةٍ بين الباحثين. وها هي الدورة العاشرة تُعقد في موعدها المضروب، بتقنيات التواصل عن بُعد، متجاوزةً إكراهات الجائحة الوبائية، وفي نية القائمين عليها الحفاظ على النجاح المطرد للدورات السابقة، واستتمام الأهداف الكبرى لهذه الندوة، وعلى رأسها خدمة السنة الشريفة، واستثمار هديها في ترشيد الواقع واستيعاب تحدياته الماثلة. وهي أهداف تتناغم وإستراتيجية جامعة الوصل في رعاية المشاريع الفكرية والحضارية للأمة الإسلامية. وقد أُفردت الدورة العاشرة لتأصيل موضوع: (الأمن المائي في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ - الإستراتيجيات والمقاصد-)، وإذا كان موضوع الماء قد نال حظاً من الدراسة والمعالجة في مؤتمرات دولية، مُهتمةً بأمنه المستقبلي، فإن لهذه الدورة خصوصيةً كامنَةً في تأصيل النهج النبوي في تعزيز الأمن المائي، وتحليل استراتيجياته، واستجلاء مقاصده التعميرية والبيئية والاقتصادية.

ومن دواعي السُّرورِ والحُبورِ أن ترفَّ الأمانة العامة لندوة الحديث الشريف، تزامناً مع انطلاق فعاليات الدورة العلمية العاشرة بافتتاح معالي جمعة الماجد حفظه الله، صدورَ كتيب إلكتروني يضمُّ بين عَطْفِهِ مَلْخَصَاتٍ لثمانية عشر بحثاً معتمداً، بعد اجتيازها لثلاث مراحل من التدقيق والتحكيم.

وقد وُفِّقَت هذه البحوث - على تفاوتٍ تَخَصُّصَاتٍ أصحابها وإمكاناتهم البحثية - في استجلاء صورة متكاملة لعناية السنة النبوية بالثروة المائية، وأثرها المحقق في الحفاظ على مواردها، وتأمينها، قبل أربعة عشر قرناً. وكان من أبرز المحاور التي دارت عليها هذه الملخصات:

- بيان ريادة السنة النبوية في بناء منظومة متكاملة لحفظ الأمن المائي.
- استجلاء البعد الاستراتيجي والمقصدي لتعزيز الأمن المائي في السنة النبوية.
- تعميق الوعي بالتشريعات والتنظيمات الواردة في السنة النبوية المتعلقة بالماء.
- الإسهام في دعم مشاريع الدولة للحفاظ على الثروة المائية، وترشيدها بالقيم الثابته في النهج النبوي.

والجدير بالذكر أن تقارير المحكمين عن الأبحاث المقدمة إلى الأمانة العامة، أبرزت في كثير من ملاحظاتها الحاجة الملحة إلى التكامل المعرفي في شخصية الباحث، وتطوير المنهج الدراسي في العلوم الشرعية لتخريج جيل قادر على معالجة قضايا أمته، في ضوء هدايات السنة النبوية، ومتمرس بأدوات الاستنباط المفضي إلى الحلول الشرعية الراشدة.

ولا يسعني، بعد هذا، إلا أن أزجي الشكر خالصاً عطراً لكل من أسدى عوناً أو معروفاً لإنجاح هذه الدورة، وآزر الأمانة العامة في مساعيها الخيرة، وهي مؤازرة تُلْهِبُ جَذْوَةَ الاستمرار، وتُقَوِّي من جلد المتابعة...
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ. د. حمزة عبدالله المليباري

الأمين العام لندوة الحديث الشريف

الفهرس

صفحة	اليوم الأول الجلسة العلمية الأولى
٦	الأمن المائي: أهميته وسبل تحقيقه في ضوء السنة النبوية. / د. باسم حسن وردة
١٣	فقه الأحاديث الواردة في الأمن المائي / د. محمد عبد الرزاق الرعود
١٩	مفهوم الأمن المائي في السنة النبوية، تحديدات مفهومية من خلال صحيح البخاري. / د. أحمد مجيد الذيب
الجلسة العلمية الثانية	
٢٥	التربية المائية وتطبيقاتها من السنة النبوية. أ. شروق جميل عبد السميع الزعترى
٣١	عناية السنة النبوية بالمحافظة على الثروة المائية، وكيفية تعزيزها وأبعادها المستقبلية. / أ. د. محمد لين بن عبد الحفيظ بوروبة
٤٣	إستراتيجية استدامة موارد المياه في السنة النبوية. د. نورة عبد الله الغملاس
اليوم الثاني الجلسة العلمية الأولى	
٤٩	أثر الإيمان بالله تعالى في تحقيق الأمن المائي في السنة النبوية. أ. د. عبد الكريم نوفان عبيدات
٥٦	الإستراتيجية العملية في السنة النبوية للتغلب على ندره الماء. د. محمد سيد أحمد شحاته
٦٤	الأمن المائي في السنة النبوية الإستراتيجيات والمقاصد. د. عمر عبد العزيز سعود الجرمللي

الجلسة العلمية الثانية	
٦٩	الرؤية الائتمانية للثروة المائية ودلالاتها العمرانية في ضوء السنة النبوية. د. بوعبيد عبد الصمد الازدهار
٧٨	صلة الأمن المائي بمقصد حفظ النفس: دراسة في ضوء الهدى النبوي الشريف وتطبيقاته في دولة الإمارات العربية المتحدة. د. كلثم عمر عبيد الماجد المهيري
٨٤	ضمان استدامة موارد المياه في ظل التوجهات النبوية (دراسة تطبيقية على إستراتيجية الأمن المائي لدولة الإمارات ٢٠٣٦م). أ. راشد سعيد عبدالله الظهوري
الجلسة العلمية الثالثة	
٩٢	ترشيد استهلاك الماء وحمايته من التلوث في ضوء السنة النبوية. أ. د. مفرح بن سليمان القوسي
١٠٣	ترشيد استهلاك المياه في ضوء السنة النبوية. د. أحمد المعداوي مكّي العفيفي
١٠٩	التوجهات النبوية نحو ترشيد استهلاك المياه في ضوء السنة النبوية وواقعنا المعاصر. / د. محمد ضاحي عبد الرؤف حافظ
١١٤	الإستراتيجية النبوية وآثارها في تعزيز إدارة الطلب على الماء. د. أسماء محمد أمين حسن بني عامر
١٢٠	إستراتيجية التسويق للأمن المائي من منظور السنة النبوية. أ. د. رقية عبد الله بوسنان

اليوم الأول : الجلسة العلمية الأولى

الأمن المائي : أهميته وسبل تحقيقه في
ضوء السنة النبوية

د. باسم حسن وردة

حاصل على دكتوراه في الحديث النبوي (الجامعة الأردنية)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد:

الماء هو أصل الحياة والنماء، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ شَيْءًا كُلَّ حَيٍّ﴾^(١)، فالماء ضروري لكل جوانب الحياة، ضروري لشراب الإنسان وطعامه، ولطهارة الجسم والثياب، وللصحة والعلاج، ولنظافة البيئة، وللزراعة والثروة الحيوانية، وللصناعة وتوليد الطاقة، وللبناء والعمارة.

وقد اهتم الإسلام بالمواضيع المتعلقة بالماء اهتماماً كبيراً، حيث تكرر لفظ «الماء» في القرآن الكريم (٦٣) مرة^(٢). وفي السنة النبوية المطهرة عشرات الأحاديث النبوية الشريفة، التي تتحدث عن الأمور المائية بمختلف جوانبها.

إن من أكبر المشكلات التي يعاني منها عالمنا العربي في هذا الزمان «ضعف الأمن المائي»، ومفهوم الأمن المائي هو «مدى قدرة الدولة على توفير الماء لأفرادها بشكل مياه عذبة نظيفة، خالية من الملوثات المختلفة، بشكل آمن ومستقبلي، إذ يجب أن تحافظ على توفير هذه الطاقة للأجيال الحالية، وللأجيال المستقبلية دون هدر، ودون عجز في تلبية الحاجات المائية لشعبها»^(٣).

وقد أكدت الأمم المتحدة أنّ حصة الفرد من المياه ينبغي ألا تقل عن ألف متر مكعب سنوياً^(٤)، لكن واقع الحال في عالمنا العربي مؤسف، حيث إن حصة الفرد أقل من ٥٠٠ متر مكعب سنوياً، وتقل هذه الحصة باستمرار، حيث أكد مركز الدراسات العربي الأوروبي أن حصة الفرد في العالم العربي عام ٢٠٢٥ م ستكون بمعدل (٣٦٤) متراً مكعباً، بينما معدل نصيب الفرد عالمياً (٧١٨٠) متراً مكعباً^(٥). أي ٥٪ !!

١- سورة الأنبياء، آية ٣٠.

٢- غالب الزعابير، الماء في القرآن الكريم، ص ١٦.

٣- نعيم الظاهر، الأمن المائي العربي، ص ٦٦.

٤- المرجع السابق، ص ٢٢.

٥- نعيم الظاهر، الأمن المائي العربي، ص ٢٥٤.

هذه الأرقام تدل على أن الوضع المائي العربي خطير جداً، مما يوجب على جميع الدول العربية دق ناقوس الخطر، والسعي لتحقيق الأمن المائي بالاسترشاد بالسنة النبوية، والوسائل العلمية الحديثة، ويمكن بيان ذلك كما يأتي:

أولاً: الإدارة الجيدة لموارد المياه:

لدينا موارد مائية جيدة، لكنها تحتاج إلى حسن الإدارة، من قبل مختصين أكفاء وأمناء، كما قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^(١)، وقد كان النبي ﷺ يختار الرجل المناسب للمكان المناسب والمهمة المناسبة، كما فعل باختيار قادة الغزوات والسرايا، وحذر من عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وقال: (إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ).^(٢)

ثانياً: ترشيد استهلاك المياه:

دعا الإسلام إلى ترشيد الاستهلاك في كل شيء، وعدم الإسراف، فقال تعالى: ﴿ يَبْنَىءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَاسًا يُورَى سَوْءَ تَكْمٌ وَرَيْشًا وَلِيَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾^(٣). وكان ﷺ القدوة للأمة في ترشيد استهلاك الماء، كما روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ)^(٤)، والمد حفنة بكفي الرجل المعتدل الكفين، والصاع أربعة أمداد.^(٥)

-
- ١- سورة القصص، آية ٢٦.
 - ٢- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ح ٦٤٩٦.
 - ٣- سورة الأعراف، آية ٢٦.
 - ٤- أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد، ح ٢٠١. وأخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، ح ٣٢٥.
 - ٥- سيد سابق، فقه السنة، ١/ ١١٨.

ثالثاً: حفر الآبار وشق الأنهار:

وقد حث النبي ﷺ على حفر الآبار، حيث سأله سعد بن عبادة رضي الله عنه: (يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْمَاءُ، قَالَ: فَحَفَرْتُ بَيْتًا، وَقَالَ: هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ).^(١)

وكذلك حث النبي ﷺ على شق الأنهار، كما جاء في الحديث: (إِنَّ مَاءً يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عَلَمًا نَشْرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَثَةً، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ..)^(٢)، والشاهد هنا (أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ). أي شق نهراً لمنفعة المسلمين.

رابعاً: تخزين مياه الأمطار وإقامة السدود:

وقد حرص المسلمون في العهد الأول على تخزين مياه الأمطار، وإقامة السدود، كما دل على ذلك الآثار والروايات التاريخية، ففي قرية (الربذة) التي تقع قرب المدينة المنورة، والتي أقام ومات فيها الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري تم الكشف عن برك مياه كبيرة، كانت تستخدم لحفظ مياه الأمطار، حفرت وبنيت بطرق هندسية بارعة.^(٣)

وأنشأ الأمويون السدود وخزانات المياه، منها سد (خربقة) على الطريق المؤدية من دمشق إلى مدينة تدمر.^(٤)

- ١- أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب فضل سقي الماء، ح ١٦٨١. وحسنه الألباني في صحيح أبو داود، ح ١٦٧٩، وصححه الحاكم المستدرک، ١/ ٤١٤.
- ٢- أخرجه ابن ماجه في كتاب السنة، باب ثواب معلم الناس الخير، ح ٢٤٢. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، ح ٢٤٩٠.
- ٣- سعد الراشد، الربذة صورة للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية، ص ١٢٥.
- ٤- سامي المغلوث، أطلس تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٢٠.

خامساً: مكافحة تلوث المياه:

تلوث الماء يجعله غير صالح للشرب، وقد يسبب بعض الأمراض، وقد حرصت السنة النبوية على مكافحة التلوث، ومن ذلك حديث جابر رضي الله عنه أن رسول ﷺ (نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّكَدِ).^(١)

والتلوث له أسباب كثيرة، منها: أسباب طبيعية كالبراكين والعواصف وحرائق الغابات، ومنها من فعل الإنسان كالنشاطات الصناعية، والمبيدات الحشرية، والأسمدة الزراعية. وهناك وسائل حديثة كثيرة لمعالجة تلوث المياه ينبغي الأخذ بها.

سادساً: تحلية مياه البحر:

ماء البحر ثروة مائية هائلة، فهو ماء طاهر كما قال ﷺ: (هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحَلِيبُ مَيْتَهُ)^(٢)، فيمكن استعماله للطهارة، وللصناعة، لكن لا يمكن استعماله للشرب لأن نسبة الملوحة فيه عالية؛ لذا ينبغي اللجوء إلى الوسائل الحديثة لتحلية ماء البحر.

سابعاً: امتلاك القوة العسكرية لحماية الموارد المائية:

أعداء الأمة يطمعون بها وبثرواتها، ومن ذلك الثروة المائية؛ لذا لا بد للأمة من الوحدة وامتلاك القوة العسكرية الكافية لردع كل الأعداء الذين يتربصون بها لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٣)، فلا يجوز السماح للأعداء بالاعتداء على الموارد المائية للأمة، وفي السيرة ما يؤكد ذلك ففي غزوة بدر حيث عمل المسلمون حوض ماء ليشربوا منه، وأراد أحد المشركين الاعتداء

١- أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، ح ٢٨١.

٢- أخرجه الترمذي في أبواب الطهارة، باب في ماء البحر أنه طهور، ح ٦٩، وقال: حديث حسن صحيح.

٣- سورة الأنفال، آية ٦٠.

على الحوض وهدمه، فتصدى له أسد الله حمزة رضي الله عنه وقتله. (١)

ثامناً: تحصين المجتمع بالمحصنات الإيمانية الجالبة للأمن وبركات السماء:

هناك تحصينات إيمانية تجلب للأمة الغيث وبركات السماء والأمن، وأهمها:

التقوى: كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢). ومن بركات السماء الغيث.

الزكاة والصدقات: فمن بركاتها جلب الغيث، كما جاء في صحيح مسلم، حيث روى أن رجلاً كان في فلاة وسمع صوتاً في سحابة يقول: اسق حديقة فلان، فنزل الغيث وتتبعه ولم يصل الماء إلا إلى حديقة معينة فسأل صاحبها عما فعل حتى حصل له ذلك، فقال له: (فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَاتَّصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ) (٣). فحرص الرجل على الزكاة والصدقة كان سبباً في نزول الغيث على بستانه دون سائر البساتين.

التوبة والاستغفار: التوبة والاستغفار علاج لكثير من مشاكل الحياة، وفيها فضائل عظيمة منها نزول الغيث كما قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُرْمِيْنَ﴾ (٤). وقال ﷺ: (مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (٥)، ومن أشكال الرزق الغيث والأمن.

١- انظر: سيرة ابن هشام، ٢/ ٢٠١.

٢- سورة الأعراف، آية ٩٦.

٣- أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفاق، باب الصدقة في المساكين، ح ٩٨٤.

٤- سورة هود، آية ٥٢.

٥- أخرجه أبو داود في أبواب قيام الليل، باب في الاستغفار، ح ١٥١٨، وحسنه ابن حجر في الأمالي المطلقة، ص ٥٢، وصححه الحاكم في المستدرک، ٤/ ٢٦٢.

شكر الله على نعمة الماء: الماء نعمة عظيمة من الله عز وجل، يجب شكر الله عليها، وفي الشكر المزيد من النعمة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لِينِ شِكْرَتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١)، وفي المقابل كفران النعمة يؤدي إلى الدمار وخسارة النعمة كما حصل مع قوم سبأ الذين أخبرنا الله عنهم بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾^(٢).

وخلاصة القول:

إن في السنة النبوية المطهرة حلولاً لكل المشاكل التي تعاني منها الأمة في هذا الزمان، ومنها مشكلة (ضعف الأمن المائي)، ويمكن حل هذه المشكلة بالاسترشاد بالهدي النبوي والأخذ بالوسائل العلمية الحديثة من خلال: ترشيد استهلاك المياه، وتعيين الإدارة الجيدة لموارد المياه، وحفر الآبار وشق الأنهار، وتخزين مياه الأمطار وإقامة السدود، ومكافحة تلوث المياه، وتحلية مياه البحر، وامتلاك القوة العسكرية الكافية لحماية الموارد المائية من أطماع واعتداءات الأعداء، وتحصين المجتمع بالمحسسات الإيمانية الجالبة للأمن وبركات السماء خاصة: التقوى والزكاة والصدقات، والتوبة والاستغفار وشكر الله عز وجل على نعمة الماء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١ - سورة إبراهيم، آية ٧.

٢ - سورة سبأ، آية ١٥-١٦.

اليوم الأول : الجلسة العلمية الأولى

فقه الأحاديث الواردة في الأمن المائي

د. محمد عبد الرزاق الرعود

أستاذ في جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد.

فإن من أهم ما أوجد الله سبحانه وتعالى لصالح الخلق: «الماء»، وجعل منه كلَّ شيءٍ حيٍّ، فلا يمكن لمخلوق أن يستغني عنه: شرباً، ونظافةً، وطهارةً، وسقياً، وصناعة... إلخ»، ومن هنا جاء انعقاد الندوة العلمية الدولية العاشرة: «الأمن المائي في السنّة النبوية»، الإستراتيجيات والمقاصد، في مكانه وزمانه، والذي تنظمه جامعة الوصل بدبي - الأمانة العامة لندوة الحديث الشريف، بتاريخ (٢-٣ / ٦ / ٢٠٢١م)، لذا رأيتُ أن يكون لي شرف المشاركة في هذه الندوة العلمية المباركة، وفي محور: استراتيجيات السنّة النبوية في تعزيز الأمن المائي، وتحديدًا: «فقه الأحاديث النبوية الواردة في الأمن المائي»، وذلك ما لهذا الموضوع من أهمية كبرى على مستوى الدول والجماعات والأفراد، وإبرام الاتفاقيات والمواثيق، وإعداد الإستراتيجيات المختلفة، والدراسات العديدة، والمناهج الدراسية في الكثير من الجامعات والمؤسسات التربوية على امتداد رقعة العالم الإسلامي.

فلا بدّ هنا من تعريف مفهوم الأمن المائي ثم الإشارة إلى اهتمام السنّة النبوية بهذا المصدر اهتماماً كبيراً يلقي علينا واجباً شرعياً، وأخلاقياً، ووطنياً تجاهه، فأقول: الأمن المائي هو:

(المحافظة على الموارد المائية المتوافرة، واستخدامها بالشكل الأفضل، وعدم تلويثها، وترشيد استخدامها في الشرب، والري، والصناعة، والسعي بكل السبل للبحث عن مصادر مائية جديدة وتطويرها، ورفع طاقات استثمارها لتأمين التوازن بين الموارد المائية المتاحة، والطلب المتزايد عليها).

وقد وضّحت السنّة المطهرة أهمية الماء وضرورته، وسبل التعامل معه، وما يتصل بذلك، فنجد موسوعة متكاملة من الأحكام الفقهية، وكثيراً من الفوائد والتوجيهات النبوية، سواء ما يتصل بالإنسان، أو الحيوان، أو البيئة بشكل عام، فالحفاظ على الماء هو من مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت لتحقيق سعادة البشرية، وتوفير مصالح العباد.

وقد دعا الإسلام إلى الاقتصاد والترشيد في استعمال الماء في كل شؤون الحياة، سواء للطهارة، أو السقي، أو الشرب، أو غير ذلك، واليوم نرى علماء البيئة في العالم ينبهون البشرية إلى أهمية الحفاظ على الماء والاقتصاد فيه، في الوقت الذي علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وعلم البشرية كلها، منذ زمن كيف نقتصد في الماء ونحافظ عليه، ونتعامل معه بتدبير جاد كتعاملنا مع المال، فهو أهم من حيث بقاء الحياة واستمرارها، فنهى الإسلام عن الإسراف في الوضوء ابتداءً، فعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مرَّ بسعد، وهو يتوضأ، فقال: ما هذا السرف؟ فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهرٍ جارٍ.

علماً بأنّ إسباغ الوضوء سنة نبوية، لكن الإسباغ لا يعني الإسراف بحال أبداً. «فالإسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية». سواء في الماء العام كماء المساجد، قياساً على النهر الجار، أو الماء الخاص كفعل سعد (رضي الله عنه).

ولأهمية الماء والمحافظة عليه، ولشنيع استخدامه بما يفضي إلى الإسراف والتبذير فيه، حذّر النبي (صلى الله عليه وسلم) مستقبلاً ممن يمارسون هذا الأسلوب في التعامل مع الماء طهارةً وتعبداً، فقد «سمع عبد الله بن المغفل ابناً له وهو يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، قال: يا بني، إذا سألت فاسأل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: يكون في آخر الزمان قوم يعتدون في الدعاء والطهور».

ولأنَّ الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) قد وتنا بالقول والفعل، فكما أمر بالاعتصام وعدم الإسراف، كذلك مارس فعلاً وواقعاً ترشيد استهلاك الماء أثناء الوضوء والاعتسال، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: «كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ».

ومن هنا نص الفقهاء على حرمة الإسراف في الماء عند الوضوء، قال الصنعاني بعد ذكر هذه الأحاديث: «وهي كلها قاضية بالتخفيف في ماء الوضوء وقد علم نهيهِ (صلى الله عليه وسلم) عن الإسراف في الماء وإخباره أنه سيأتي قوم يعتدون في الوضوء فمن جاوز ما قال الشارع أنه يجزئ فقد أسرف فيحرم».

كما أمر الإسلام بالمحافظة على البيئة: فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «لا يبلولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه».

فيدل هذا الحديث وغيره على تحريم قضاء الحاجة في موارد المياه ومجاريها، أو طرق الناس، أو ظلهم، لما في ذلك من إيذاء الناس، والتسبب في نجاسة المكان واستقذاره، فإذا كان مَنْ يُوذِي الناس في تبوله وتغوطه، يوجب له اللعن بهذا الفعل، فكيف بمن يحاول أن يتسبب في رمي النفايات السامة والقاذورات وغيرها في البيئة، وهذه أدلة واضحة على تحريم الاعتداء على عناصر البيئة بكل أشكالها التي تبعد الناس عن استعمال هذا الماء بفساده وتلوثه، ويمكن أن يقاس عليه كل مَنْ يضع المياه العادمة في الأماكن العامة ومنابع الماء ومصادرهما.

ولذا فمن الضروري أن نبعد المجاري الصحية عن مجاري المياه ومصادره التي تشمل مجاري الأنهار، والشلالات، والعيون، والقنوات المائية، منعاً للتلوث.

كما جاء التوجيه النبوي للتصدق بالماء، وعدم احتكاره، واعتبار ذلك جزءاً

من ديننا الحنيف، كما في حديث عثمان (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): مَنْ يَشْتَرِي بئرَ رومةَ فيكون دلوهُ فيها كدلاءَ المسلمين، فاشتراها عثمان (رضي الله عنه).

كما جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الصدقة بالماء أفضل أنواع الصدقة، لأن أثره الإيجابي في الناس خير من أي نوع من أنواع الأموال الأخرى، فعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْمَاءُ قَالَ: فَحَفَرَ بئرًا، وَقَالَ: هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ. وجاء في بعض روايات الحديث: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: سَقْيُ الْمَاءِ، مما يدل على أَنَّ السقي عام لكل البشر والمخلوقات، وليس للمسلمين فقط.

وخلاصة القول:

الماء نعمة عظيمة، لا يستغني عنها مخلوق، إذ جعل الله تعالى منها كل شيء حي، ومن هنا اعتنت السنة المطهرة آتيا اعتناء بالماء، ووجهت إلى أهميته، وكيفية استعماله، والحرص على ترشيده وعدم الإسراف في استخدامه. كما شدد النبي (صلى الله عليه وسلم) على النهي عن تلويثه بأي ملوث من ملوثات الطبيعة، بل منع الاغتسال أو الوضوء في الماء الراكد.

واليوم اهتمت كثير من الدول بالماء وموارده، وكيفية التعامل معه وفق دراسات إستراتيجية، ورؤية راشدة، فتجاوزت الأزمات المائية وحققت نجاحًا في ذلك.

كما لا بد من الإشارة إلى أن ماء زمزم من أشرف المياه في الدنيا، وأجلها مكانة، والشرب منها دين واتباع لسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومن خصوصياتها أنها تقوم مقام الطعام والشراب.

أمّا بخصوص المياه المعدنية المعبأة في قوارير وتباع في الأسواق فهذه لا تدخل في حديث: الناس شركاء في ثلاث، لأنها اتخذت صورة جديدة، وأصبحت بضاعة كغيرها من السلع . وأرى أن يبحث هذا الأمر في المجامع الفقهية، ودور الإفتاء بشكل أوسع .

اليوم الأول : الجلسة العلمية الأولى

مفهوم الأمن المائي في السنة النبوية
تحديدات مفهومية من خلال صحيح البخاري

د. أحمد مجيد الذيب

أستاذ محاضر بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الاسلامية - الجزائر

أشكرُ السَّادَةَ الفضلاءَ القائمين على هذه الندوة العلمية المباركة، وأحمدُ لهم اهتدائهم لهذا النوع المُثمر من العمل؛ فتظهير القيم الحضارية في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المطهَّرة هو من آكِدِ مُتَطَلِّبَاتِ النهضة العربية، وأقوى شروطها؛ فَكَثَرَ اللهُ من أمثالكم من العاملين، وجعل لكم لسان صدقٍ في الآخِرِينَ.

وتَنَزَّلُ هذه الورقة ضمنَ سَعْيِ مَفَاهِمِيٍّ يَنْغِيًّا تجميع معاني «الأمن المائي» في صحيح البخاري، وتظهير أبعاده وخصائصه، أملاً في التَّوَصُّلِ إلى صياغة مفهوم جَامِعٍ يُعَبِّرُ عن تعامل الإسلام مع المياه جَلْبًا، وانتفاعًا، وتدبيرًا.

وتبعًا للوظيفة المنهجية للملخص فسأعمد إلى إظهار نتائج البحث من خلال طرح الأسئلة الآتية:

- ما حقيقة الأمن المائي من منظور السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؟
 - وما أبرز القيم التي يقوم عليها هذا المفهوم؟
 - كيف كان منطوق الاشتغال المنظومي للأمن المائي في السنة النبوية؟
 - ما أبعاد الأمن المائي في صحيح البخاري؟
- وتأسيسًا على هذه الأسئلة يمكن القول:
- على الرغم من أن «الأمن المائي» لم يرد في المدونات الحديثية كمركب لفظي، إلا أن دلالاته المفاهيمية تظلّ مبثوثة في تضاعيف تلك النصوص، ومُتَشِرَّةً في أَرْجَائِهَا؛ من خلال كتب الطهارة، والأشربة، والمساقاة، والأوقاف، والأحكام، والآداب، غيرها، لتُشَكِّلَ بمجموعها نَسَقًا مَفَاهِمِيًّا يُؤَطِّرُ نَظْرَةَ الإسلام إلى هذا المورد الحيوي المهم.

- سجّل مصطلح «الماء» حضورًا قويًّا في متن صحيح البخاري، حيث ورد بمجموع (٤٢٨) موضعًا، في أبواب مختلفة، وبصيغ مختلفة، فهو مصطلح

قويّ الحضور، عميق الجذور، ممتدّ الأطراف .

وجليّ أنّ الحضور القويّ لمصطلح «الماء» في صحيح البخاري يشي بمدى اهتمام الإسلام بهذا المورد الحيويّ الذي به قيام الحياة واستمرارها .

- بالإضافة إلى ما امتاز به مصطلح «الماء» في نصوص «الصحيح» من تعدّد الوظائف، وقوّة الاستيعاب، وعلوّ المكانة، فهو قويّ الاستعمال، مستقرّ الدلالة؛ استعمل في النصوص النبويّة بصورة مستقلة لم يحتج فيها - على الدوام - إلى الضمائم الوصفية أو الإضافية، فصحّ بهذا الاعتبار أن نصّفه بالنضج والاستواء .

- إنّ حقيقة «الأمن المائي» - وفق ما ترشّح من عملية الاستقراء لأحاديث صحيح البخاري - هي: تأمين حقّ كلّ نامٍ في الوصول الراشد إلى الماء الصحيّ شرباً واستعمالاً وتعبداً .

ويكشف هذا المعنى عن سعة مفهوم الأمن المائي في السنّة النبوية واتساع مجالاته؛ فهو يشمل حقّ إجراء الماء لعموم النّاس، وسُقيا البهائم، والحقّ في سقاية النبات والزرع ..

وهو بهذا يتفوّق على الأدبيات الغربية المعاصرة التي تقصر مفهوم «الأمن المائي» على الأدميين فقط .

- إنّ الفكرة الأساسية التي أبرزتها عملية الاستقراء لأحاديث البخاري: هي احتكام «الأمن المائي» إلى جملة من الأبعاد المؤطّرة لنظرة السنّة النبوية لهذا المفهوم المهمّ، وهي ستة أبعاد:

أولاً - البعد القيمي:

حينما كانت القيم أحد أهم الفواعل الأساسية في تكوين الثقافة الشخصية، وتعزيز السلوك الراشد، فإنَّ الشَّارِعَ الحكيمَ أَنَاطَ «الأمن المائي»، بأحكام قيمية معيارية، سواء بطريقة ضمنية أو بطريقة صريحة.

ويتجلى ذلك في تعظيم هذا المورد الحيويِّ والإرشاد إلى أثره، وربط طلب الماء بالخالق سبحانه وتعالى، وتشريع عدالة التوزيع المائي، والترغيب في صدقة الماء والحضِّ عليها، واعتبار الماء من عَطَاءَاتِ الآخِرَةِ وَلَدَاتِهَا.

ثانياً - البعد التعبدي:

سَجَّلَتْ كلمة «الماء» أعلى نسبة ورود في أبواب العبادات، حيث نَصَّبَ الشَّارِعَ «الماء» وسيلة للتطهر، ف «لا يقبل الله صلاة مَنْ أحدث حتى يتوضأ»، وقد أجمع العلماء على أَنَّ وصف «الطهور» مختص بالماء، ولا يَتَعَدَّى إلى سائر المائعات. كما وقع التشجيع على إدامة الطهارة كما في حديث بلال (رضي الله عنه) وغيره.

ثالثاً - البعد المجتمعي (التشاركي):

مَنْ يَتَّبِعَ أحاديث الماء في صحيح البخاري ويتسَّقَطُ أبوابه يلحظ مراعاة البعد المجتمعي لهذا المورد الحياتي المهم، فالماء مورد اجتماعي مشترك، وهو قِسْمَةٌ بين الجميع.

ومن أجل ذلك قَرَّرَ النبي (صلى الله عليه وسلم) - كما في البخاري وغيره - مبدأ الملكية العامة للماء، دَاعِيًا إلى إشاعة حق الانتفاع به، فالنَّاسُ شركاء في الماء، من غير فرق بين المحرز وغير المحرز.

كما صَحَّ عنه (عليه الصَّلَاة والسلام) النهي عن منعه والضَّنُّ به، ف «مَنْ منع فضل مائه لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزيكه وله عذاب عظيم».

ومما يندرج في هذا المعنى أيضًا: أنه يشرع لمن تولى سقاية قوم أن يتأخر في الشرب حتى يفرغوا عن آخرهم.

ومما ينخرط في هذا السلك أيضًا: إقرار مبدأ «الوقف المائي»، وهو ما يوقف من موارد مائية لجهة عامة أو خاصة، على جهة التأقيت أو التأييد، بنية التقرب إلى الله تعالى.

رابعًا - البعد الصحي (البيئي):

أحاطت السنة النبوية استخدام الماء بجملة من التدابير الوقائية والإجراءات الصحية التي من شأنها أن تحفظ لهذا المورد طبيعته وسلامته.

وتتجلى هذه المبادئ التوجيهية في الإرشاد إلى تخمير الآنية وتأمينها، وحماية مصادر المياه وتلافي مَهْدَدَاتِ التلوث، وجعلها من الملاعن التي توجب لعن الناس وذمهم، وكذا النهي عن تلويت الماء وتقديره، والنهي عن غمس اليدين في الإناء بعد الاستيقاظ من النوم.

خامسًا - البعد التوعوي:

إنَّ المتتبع لأحاديث «الصحيح» يقف على كراهة النبي (صلى الله عليه وسلم) للإسراف والتغالي في استعمال هذا المورد المتناقص. فقد كان من هديه (عليه الصلاة والسلام) الوضوء بالمُدِّ والاعتسال بالصَّاع، وهي مقادير يسيرة مقتصدة محمولة على أقل ما يمكن، كما كان يغتسل هو وزوجه في إناء واحد، ويؤدي الصَّلوات بوضوء واحد كما في فعل يوم الفتح.

وإذا كان الشارع الحكيم نهى عن التغالي في استخدام الماء في الوضوء والغسل - وهو فرش ضروري لا معدى عنه في صحة بعض العبادات-؛ فإنَّ النهي عن غيره أشد وأخطر.

سادساً - البعد الأمني (الاستراتيجي):

إنَّ وقائع التاريخ لتشهد بوقوع الحروب والمعارك بسبب النزاع على أمر الماء، ولعلّ المراكشي لم يكن مبالغاً حينما قال: «إذا رأيتَ قوماً يتخاصمون وقد علا بينهم الكلام فاعلم أنهم في أمر الماء».

فماء كلاب أشعل أكثر من حرب بين القبائل، وكذا ناقة البسوس تسبب في الحرب أربعين عاماً بعدما شربت من ماء غيرها.

وهذه غزوة بدر الكبرى كان الماء فيها من أعظم عوامل الحسم الاستراتيجي، ولا غَرْوَ فَإِنَّ أصل تسميتها بـ «بدر» يعود إلى ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين ساحل البحر ليلة.

هذا، وإنَّ البحث إذ يُسجَّل هذه النتائج، فإنه يُوصي بالآتي:

- بالإضافة إلى أهمية تظهير مفهوم الأمن المائي في المدونات الحديثة، فإنَّ البحث يدعو إلى إجراء المزيد من الدراسات المفهومية المرتبطة بالقرآن الكريم.
 - محاولة تبيئة أبعاد الأمن المائي ومقاصده في المجتمع، وتدريسها في الجامعات والمعاهد والأكاديميات المتخصصة.
 - السعي إلى صياغة ميثاق عربي إسلامي للأمن المائي تُستلهم مَوَادُّهُ من نصوص الوحيين كتاباً وُسْنَةً.
- والله أسأل أن يوفقنا جميعاً ويُسَدِّدَ خطانا بمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثانية

التربية المائية وتطبيقاتها من السنة النبوية

أ. شروق جميل عبد السميع الزعتري

أستاذة تربية إسلامية في وزارة التربية والتعليم - فلسطين

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله المعلم الهادي محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ابتعث الله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - نبيًا ورسولًا ﷺ، مربيًا ومعلمًا، مفهّمًا وموجهًا ومرشدًا بالقرآن الذي أنزل عليه، وبسنته التي أوصلنا أن نعص عليها بالنواجذ.

فالسنة النبوية الشريفة ثرية بالنصوص التربوية المختلفة التي كان ينهاجها النبي - صلى الله عليه وسلم - ويعلمها للناس أفرادًا وجماعات، وقد كان لطريقته ﷺ في التوجيه أثرٌ كبيرٌ في الاستجابة لتعاليمه النبوية، فتجده بعدما أرسى قواعد العقيدة وغرس غراس التوحيد، ربط أفعال العباد الدنيوية بيوم الحساب، وجعل سلوكياتهم الدنيوية تصطبغ بالصبغة الأخروية؛ مما شكل دافعًا وجدانيًا دينيًا أثر تأثيرًا إيجابيًا في سلوك الأفراد المهاري والأخلاقي تجاه القضايا المختلفة، ومنها موضوع البحث هنا وهو التربية المائية.

وقد أولى الإسلام قضية الماء اهتمامًا يتناسب مع أهمية الماء الكونية، يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، فبين الماء والحياة علاقة مطردة لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة على هذه الأرض؛ «وقد دلت الأبحاث والدراسات أن البشرية لا تعاني من عدم كفاية في الماء، فالله سبحانه وتعالى قدر للخلق أرزاقهم وقدر للحياة مواردها، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾»^{(٢) (٣)}، ولكن السلوكيات البشرية المتراكمة أدت لحصول مشكلات عديدة في الثروة المائية؛ مما أثر سلبيًا في نوعيه المياه، وكميتها، فأصبح الأمن المائي اليوم جزءًا مهمًا

١- سورة الأنبياء: ٣٠.

٢- سورة الفرقان: ٢.

٣- الخطيب، السياسة المائية في الفكر الاقتصادي الإسلامي، ٧١.

من الأمن القومي الخاص بالدول، والتي أصبحت بدورها تطالب مؤسساتها في تعزيز مفهوم التربية المائية عند الأفراد من خلال النشاطات التوعوية في كل من: الإعلام، المدارس، دور العبادة.

ومن خلال هذه المقدمة تأتي أهمية البحث الذي بينت خلاله بعض إستراتيجيات السنة النبوية في تعزيز الأمن المائي والمتمثل هنا بإيراد مبادئ التربية المائية ومهاراتها مساراً تربوياً يقدم من خلال أهداف تربوية معينة، واستنباط هذا من نصوص السنة النبوية.

فالتربية المائية: «هي ذلك الجهد التربوي المنظم المبذول لتنمية المفاهيم والقيم والمهارات المرتبطة بالمياه وقضاياها؛ وذلك لاتخاذ القرارات الواعية المتصلة بنوعية القضايا والمشكلات المائية القائمة، والعمل على منع ظهور مشكلات مائية جديدة»^(١). فنلاحظ في التعريف أعلاه أن الجهد التربوي في التربية المائية منصب على تحقيق ثلاثة أهدافٍ رئيسة؛ هي: (الهدف المعرفي، والهدف الوجداني، والهدف المهاري «السلوكي»).

فالمعرفة هي الحقيقة الأولى التي ترشد وتوجه الإنسان نحو فكرة معينة وتلفته إلى أهميتها؛ وإذا ما ارتبطت هذه المعرفة المجردة بوجدان الإنسان سرعان ما تشكل في نفسه قيمة مستقلة، ثم تتحول لا محالة إلى مهارة عملية واقعية يقوم بها بدافع ذاتي أخلاقي قيمى، وإذا ما ارتبطت هذه المعرفة بالدين أثرت بشكل أقوى في وجدانه لكونها نابعة من عقيدة الأجر والثواب الدنيوي والأخروي، وهذا ما عمل على غرسه النبي ﷺ ويظهر هذا جلياً من خلال النصوص النبوية الخاصة بالتربية المائية بمستوياتها الثلاثة (المعرفية، والوجدانية، والسلوكية).

وتعد عملية صياغة الأهداف بمستوياتها المختلفة لأي قضية تربوية عملية شائكة إن لم تُنظم من خلال عقد جامع، ومن أشهر تصانيف الأهداف التربوية التي

١- رزق، دور منهج الدراسات الاجتماعية في إثناء الوعي المائي، ١٧٥-١٧٦.

تنظيمها وتساعد على الوصول إليها؛ «تصنيف بلوم»^(١) لأهداف المجال المعرفي والإدراكي، و«تصنيف كراثول»^(٢) لأهداف المجال العاطفي والوجداني، وكلاهما يسعيان لإحداث تغير سلوكي مهاري على المتعلم. وتعد هذه التصنيفات متداخلة تماماً من الناحية العملية، إلا أن تصنيفه يعد أمراً ضرورياً من أجل عملية تنظيم التعلم^(٣).

وهذا تماماً ما طبقه النبي ﷺ بإبداع وتفرد قل نظيره على الفرد والمجتمع فيما يخص التربية المائتة قبل أكثر من ١٤٠٠ عام كما سنرى في المبحث الثاني من التطبيقات التربوية النبوية لأهداف التربية المائتة من خلال الجوانب الثلاثة: (المعرفية، والوجدانية، والسلوكية). فإن الناظر إلى كتب المتون الحديثة يجد الكثير من النصوص النبوية المهتمة بالمياه سواء بطريقة استعمالها، أو بتقرير أحقية الجميع بها، أو بالترغيب على بذلها والترهيب من هدرها، ولقد تخيرت من هذه النصوص ما يخدم عنوان البحث هنا، وقسمتها وفقاً للأهداف التربوية الثلاثة السابقة.

وأوجز ذلك على النحو الآتي: ففيما يخص الجانب المعرفي فمن خلال استقراء النصوص النبوية نجد أن النبي ﷺ أقر ثلاثة مبادئ معرفية؛ الأولى: هي طهورية الماء، والثانية أحقية الجميع به، والثالثة أن تملك بعض مصادر المياه الخاصة لا يعني جواز منع الغير عنها. فهذه ثلاثة مبادئ معرفية، أسستها الشريعة الإسلامية؛ لتشكل قاعدة مرجعية في بناء أولويات الإنسان المسلم المعرفية الخاصة بالماء.

- ١- قسم بلوم ورفاقه عام ١٩٥٦م المجال المعرفي إلى ستة مستويات يلاحظ من خلالها قدرة المتعلم على الإدراك، التذكر، الفهم، التعليل، التحليل، التطبيق، التقويم. انظر، المنهاج التربوي، ٤٨، بتصرف.
- ٢- صنف كراثول الأهداف التربوية في المجال الوجداني إلى خمسة مستويات: الانتباه للمثير، الاستجابة للمثير، إعطاء القيمة للأشياء، تنظيم القيمة في نسق قيمي، تمثل القيمة والاعتزاز بها. انظر: المنهاج التربوي، ٤٩، بتصرف.
- ٣- المصدر السابق، ٤٩، بتصرف.

ثم تجلّى الإبداع النبوي في الجانب الوجداني بعد محاكاة العقل في الجانب المعرفي؛ وذلك من خلال استقراء النصوص النبوية التي تحاكي وجدان المسلم ممسكة بقلبه لتصل وإياه للتطبيق السلوكي الواقعي، وذلك ابتداءً من استقبال المثيرات كامتناع الله تعالى عن النظر لمن يمنع فضل الماء عن غيره، ونظره تعالى هو رحمته، ومروراً بالاستجابة للمشير عبر ضرب النبي ﷺ قصة مغفرة الله للرجل الذي سقى الكلب داعياً إيانا إلى تقليده، ثم إعطاء القيمة للأشياء التي قد لا يلقي لها بالاً كفضل جرة الماء التي أقر النبي أننا سنسأل عنها يوم القيامة، وقد أمعن النبي ﷺ بضرورة إعطاء القيمة للماء بوصفه ﷺ لفعل تجاوز الحد في استعمال الماء بالاعتداء، وانتهاءً بتمثل القيمة والاعتزاز بها كحادثة عثمان وشرائه لبئر رومة، والحث على التصديق بالماء. ونستطيع أن نعد المستوى الأخير من الجانب الوجداني مندمجاً مع الجانب المهاري، فتمثل القيمة هو في حد ذاته سلوكٌ مهاري، وقد سبق وأشرنا إلى أن هذه الجوانب الثلاثة متداخلة فيما بينها، ولكنها فصلت على هذا النحو لأغراض التعلم.

وإنَّ أي مسار تربوي يجب أن يصل في النهاية إلى التطبيقات السلوكية المهارية العملية التي تحول القواعد النظرية إلى سلوك واقعي ملموس، لتؤتي هذه القواعد أكلها، ومن ذلك: مهارة المحافظة على نظافة الماء بالأمر بتغطية الآنية في أوقات المغرب، وترتيب اللعن على من يقضي حاجته في المصادر المائية، ومهارات الترشيح في الوضوء والاستحمام وذلك بتحديد النبي ﷺ للكمية المناسبة لكل واحد منهما، وتوبيخه لسعد لإسرافه في الوضوء من النهر، وفي شؤون الزرع والري نجد حرص النبي ﷺ على عدم عضل الجهة التي يصلها الماء أولاً حصّة غيرها منه، لضمان العدل في توزيع الثروة المائية. فالنبي ﷺ وصل بالمجتمع المسلم آنذاك إلى إتقان هذه المهارات السلوكية الخاصة بالتربية المائية بعبقريته التسلسل التربوي التي انتهجها ﷺ في هذا المضمار.

وأما عن آليه بث هذه الأصول وإيصالها للأفراد والجماعات، فهي مسؤولية تقع على عدة مؤسسات متسلسلة ومتراكمة بدورها التعليمي، ابتداءً من الأسرة وتقرير النبي ﷺ مسؤولية الراعي عن رعيته، فهي الغرس الأول والأثر الأديم. ثم انتقالاً للمدارس ودور العلم، من خلال الكتب والنشاطات والرحلات والمسابقات المدرسية التي لها دور فاعل في التربية وتكوين اعوجاج السلوكيات الخاطئة، ثم المسجد المدرسة الربانية، وحلق الوعظ والإرشاد، وأخيراً الإعلام بدوره الضخم والمؤثر.

وفي النهاية أقول: هذا ما يَسَّرَ الله لي أن أقدمه ضمن محور إستراتيجيات السنة النبوية في تعزيز الأمن المائي المتمثل هنا بموضوع التربية المائية في السنة النبوية، للإجابة على الأسئلة المطروحة في مقدمة البحث، وختاماً أود أن أوضح أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي على النحو الآتي:

إنَّ نصوصَ السنة النبوية قد أصَّلت لموضوع التربية المائية تأصيلاً كاملاً وشاملاً، ويأتي هذا في سياق الإستراتيجيات النبوية للمحافظة على الأمن المائي.

عنت النصوص النبوية بتربية الأفراد والمجتمعات تربية مائية من خلال الأهداف التربوية المعرفية لزرع البذور الأولى لأهمية الماء، والوجدانية؛ لربط المعارف التي استقرت في الأذهان وتحولت إلى عقيدة من خلال الثواب والعقاب، ثم تشكل القيمة وتمثلها وتحولها فيما بعد لمهارات واقعية تطبيقية مؤتية بذلك أكلها.

وأخيراً فهذا جهد المقل، وأسأل الله القبول، والحمد لله رب العالمين.

اليوم الأول : الجلسة العلمية الثانية

عناية السنة النبوية بالمحافظة على
الثروة المائية، وكيفية تعزيزها، وأبعادها المستقبلية

أ. د. محمد أمين بن عبد الحفيظ بوروية
أستاذ محاضر جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - الجزائر

تناولت في مداخلتني هذه عناية السنة النبوية بالمحافظة على الثروة المائية،
وكيفية تعزيزها، وأبعادها المستقبلية:

أولاً- عناية السنة النبوية بالمحافظة على المياه وأهدافها:

فقد جاءت السنة النبوية بحماية ورعاية كل ما له علاقة بحياة الإنسان
ويحافظ على صحته وسلامته، ومن ذلك عنايتها واهتمامها بالمحافظة على الماء،
ومن مظاهر عنايتها به ما يأتي:

١- النهي عن الإسراف في استخدامها: فقد ذمَّ الله تعالى الإسراف بكل أنواعه:
فقال تعالى أمراً جميع عباده من بني آدم بعدم الإسراف عموماً، وفي المأكل
والمشرب خاصة: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوْا زَيْتُوْنَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ».

وكذلك الشأن بالنسبة للمياه، فقد وردت عدة أحاديث وآثار في السنة
النبوية ترشد إلى كيفية استعمال المياه وعدم الإسراف فيها، وذلك لقيمتها
وأهميتها وضرورتها في حياة الإنسان، إذ عدَّ الحد الزائد عن حاجة الإنسان نوعاً
من أنواع التعدي والإسراف المذموم المنهي عنه، سواء كان ذلك الاستهلاك
الزائد لغرض الشرب أو السقي والزراعة أو الصناعة، أو حتى في استعمال الماء
للطهارة من أجل العبادة؛ ونذكر منها:

أ- ما ورد من نهيه ﷺ لسعد عن الإسراف في الوضوء: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو،
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: «مَا هَذَا السَّرْفُ؟» فَقَالَ: أَفِي
الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ، قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ».

ب- وما روي عن ابن عمر، قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً يتوضأ، فقال: «لا تُسرف، لا تُسرف».

ج- أن عبد الله بن مغفل، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «يكون في آخر الزمان قوم يعتدون في الدعاء والطهور»؛ أي يتجاوزون الحد فيه.

٢- اهتمام السنة بترشيد استعمال المياه واستهلاكها؛ ومن ذلك:

أ- ما ورد في وصف كمية الماء المستعملة في وضوئه وغسله ﷺ:

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ﷺ يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد، وكان يتوضأ بالمد»؛ وفي رواية أخرى لمسلم عن أنس بن مالك أيضاً: «كان رسول الله ﷺ يغتسل بخمس مكايك ويتوضأ بمكوك»؛ قال ابن المثنى: بخمس مكاكي. (جمع «مكوك» وهو طاس يشرب به، وهو: مكيال لأهل العراق، ويختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد، فقيل «المكوك صاع ونصف، والصاع خمسة أرتال وثلث، فهذا صاع النبي ﷺ المشهور عند أهل الحجاز، والصاع في مذهب أهل العراق ثمانية أرتال..»).

• عن عائشة رضي الله عنها: «أنها كانت تغتسل هي والنبي ﷺ في إناء واحد، يسع ثلاثة أمداد أو قريباً من ذلك» أخرجه مسلم؛ وعن «أن النبي ﷺ توضأ بكوز» أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه؛ قال ابن حجر: إسناده حسن

• وعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «يُجزئ في الوضوء رطلان من ماء» أخرجه الترمذي.

• عن أم عمارة بنت كعب، «أن النبي ﷺ توضأ فأتي بماء في إناء قدر ثلثي المد».

والمقصود من ذكر هذه المكايل والمقادير في هذه الأحاديث إنما هو من باب

ذكر أكثر ما استعمل من الماء وأقله في الوضوء والغسل، وإلا فيختلف ذلك من شخص لآخر بحسب حجم جسمه، وبحسب درجة البرودة والحرارة، وغير ذلك.

ب- ما ورد في قسمة المياه للسقي والزراعة: ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

• عَنْ عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ فِي شِرَاجٍ مِنَ الْحَرَّةِ يَسْقِي بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى جَارِكَ» فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: «أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ، فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ، ثُمَّ أَحْبَسْ، يَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْجَدْرِ، وَاسْتَوْعَى لَهُ حَقَّهُ». رواه البخاري ومسلم.

• عَنْ ثَعْلَبَةَ بِنِ أَبِي مَالِكٍ قَالَ: «قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَيْلٍ مَهْزُورٍ، الْأَعْلَى فَوْقَ الْأَسْفَلِ، يَسْقِي الْأَعْلَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ». رواه ابن ماجه وأحمد في مسنده والطبراني في الكبير؛ وقال الألباني: «صحيح».

ففي هذه الأحاديث دلالة على تنظيم المياه في السقي والزراعة كل بحسب موضعه وحاجته.

٣- النهي عن بيع المياه ومنعها: ورد في السنة النبوية في غير ما حديث ينهى عن بيع المياه واحتكارها، وذلك أن الماء حق مشترك بين الناس جميعاً، ولا يحق لأحد أن يمنعه أو يحرم غيره منه، لأنه ليس من صنع البشر؛ بل هو هبة ومنحة من الله إلى جميع خلقه، وليس ملك أحد.

كما جاء في حديث النبي ﷺ: عَنْ رَجُلٍ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثًا أَسْمَعُهُ، يَقُولُ: «الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَلِّ وَالنَّارِ» وفي رواية: «النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ...»، وفي رواية

أخرى عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: «ثَلَاثٌ لَا يَمْنَعُنَ: الْمَاءُ، وَالْكَلاُّ وَالنَّارُ».

والمقصود بالماء هنا في الحديث هو الماء الجاري والنَّابِعُ مُطلقاً كماء السماء والعيون والأنهار التي لا مالك لها، وكذلك الماء الذي لا يقوم الإنسان بحيازته في إناء أو بركة. ومن الأحاديث التي جاءت صريحة في النهي عن منع الماء عن الناس:

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيَمْنَعَ بِهِ الْكَلَاءُ»
رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ»، وفي أخرى عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَيضاً: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ ضِرَابِ الْجَمَلِ، وَعَنْ بَيْعِ الْمَاءِ وَالْأَرْضِ لِتُحْرَثَ».

قال الخطابي في معالم السنن: «معنى فضل الماء ما فضل عن حاجته وحاجة عياله وماشيته وزرعه».

• وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمْنَعَ نَقْعُ الْبُئْرِ».
رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَهَ

أي يمنع فضل مائها؛ لأنه ينتقع به العطش أي يروى، وشرب حتى نقع أي روى، وقيل: النقع الماء الناقع؛ أي المجتمع .

• روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يَكْلُمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: - وذكر منهم - رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ...»، وفي رواية البخاري: «... وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ».

- عَنْ أَبِي الْمُهَالِ، سَمِعْتُ إِيَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْزِيِّ، وَرَأَى نَاسًا يَبِيعُونَ الْمَاءَ، فَقَالَ: لَا تَبِيعُوا الْمَاءَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «نَهَى أَنْ يُبَاعَ الْمَاءُ».

ففي هذه الأحاديث النبوية دلالة على أن ما كان الناس في ضرورة وحاجة ماسة إليه فهو حق مشترك عام، بالإضافة إلى أنه سبب من أسباب الحياة: حياة الإنسان، وحياة الحيوان، وما كان سبباً في حياة الناس فلا يجوز احتكاره ومنعه، ومن ثمَّ يكون لكل واحد حق الانتفاع به.

٤- النهي عن تلويثها فقد ورد في السنة النبوية الشريفة التنبيه على ذلك في غير موضع منها:

أ- النهي عن البول في الماء الراكد أو الدائم: وقد ورد في ذلك عدة أحاديث منها:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ» متفق عليه. وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا يَغْتَسِلُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَهُوَ جُنْبٌ» فقال: كَيْفَ يَفْعَلُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: «يَتَنَاوَلُهُ تَنَاوُلًا». وفي رواية أخرى لمسلم عن جابر رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّكَدِ».

قال ابن حجر في فتح الباري: «فَيَكُونُ النَّهْيُ عَنِ الْبَوْلِ لِثَلَاثِ سَبَبَاتٍ، وَعَنِ الْإِعْتِسَالِ فِيهِ لِثَلَاثِ سَبَبَاتٍ الْطَهُورِيَّةِ».

- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبِرَازُ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ»، وفي رواية لأحمد: «أَوْ نَقَعِ مَاءٍ».

- «الملاعن»: هُوَ جَمْعُ مَلْعَنَةٍ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَكْثُرُ فِيهِ اللَّعْنُ؛ أَي: مَجَالِبَ اللَّعْنِ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَهَا يَلْعَنُهُمُ الْمَارُّ لِفَعْلِهِمُ الْقَبِيحِ.

- «الموارد»: جمع مَوْرِد، وهو الموضع الذي يأتيه الناس، مِنْ رَأْسِ عَيْنٍ أَوْ نَهْرٍ لشرب الماء والتوضؤ.

- «نَفْعِ مَاءٍ»: وهو الماءُ الثابتُ المُجْتَمِعُ

ب- نهي المستيقظ من النوم عن إدخال اليد في الإِنَاءِ إلا بعد غسلها ثلاثاً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»، وفي رواية لمسلم أيضاً: «فَلْيُفْرِغْ عَلَى يَدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ فِي إِنْاءِهِ».

ج- النهي عن النفخ في الشراب والتنفس فيه: وقد ورد في ذلك عدة أحاديث منها:

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ..» رواه البخاري ومسلم.
- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الشَّرْبِ مِنْ ثُلْمَةِ الْقَدْحِ، وَأَنْ يُنْفَخَ فِي الشَّرَابِ».
- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ»

ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد من أحاديث نبوية أخرى تأمر بالتنفس أثناء الشرب خارج الإِنَاءِ. منها ما روى البخاري عن أنس بن مالك من أنه كان يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَزَعَمَ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ ثَلَاثًا».

قال النووي في شرحه على مسلم: «وَأَمَّا التَّنَفُّسُ ثَلَاثًا خَارِجَ الْإِنَاءِ فَسُنَّةٌ مَعْرُوفَةٌ؛ قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالنَّهْيُ عَنِ التَّنَفُّسِ فِي الْإِنَاءِ هُوَ مِنْ طَرِيقِ الْأَدَبِ مَخَافَةَ مِنْ تَقْذِيرِهِ وَنَتْنِهِ وَسُقُوطِ شَيْءٍ مِنَ الْفَمِّ وَالْأَنْفِ فِيهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

د - النهي عن الشرب من فم السقاء:

• روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من فم القربة أو السقاء، وأن يمنع جاره أن يغرز خشبه في داره»، وفي روايات أخرى له: «نهى النبي ﷺ عن الشرب من فم السقاء».

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية» يعني أن تكسر - أي تقلب - أفواهاها فيشرب منها. رواه البخاري ومسلم.

قال البغوي في شرح السنة: «والمعنى في النهي عن الشرب منه أنه إذا دام الشرب فيها، تخنث وتغيرت رائحتها، وقيل: لأنه ربما يكون فيه دابة، روي عن أيوب، قال: نبئت أن رجلاً شرب من فم السقاء، فخرجت منه حية».

ويؤكد ما سلف أيضاً ما ورد في السنة من أحاديث وآثار توجيه وترشد إلى تغطية الأنية والأسقية والأدوات التي يحفظ فيها الماء والنهي عن تركها مفتوحاً وعارية مخافة أن يقع فيها شيء؛ ومنها:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السَّرَاحَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سَقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُوْدًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفَوَيْسِقَةَ تُضْرَمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ» وفي رواية أخرى: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةٌ يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَطٌّ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ إِلَّا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الدَّاءِ».

فكل هذه الأحاديث جاءت دالة على المحافظة على المياه وصيانتها وحمايتها من أي تلوث أو أذى قد يلحق بها.

ثانياً - عناية السنة النبوية بكيفية تعزيز الثروة المائية:

اهتمت السنة النبوية بمسألة تعزيز الثروة المائية وبكيفية المحافظة عليها من الاستنزاف والضياع، ومن صور ذلك:

١ - التشجيع على سقيا الماء وبذله: ورد في السنة النبوية التشجيع على سقيا الماء وبذله لمن يحتاج إليه وتسهيل الطرق وتيسير السبل للوصول إليه، وذلك لما له من الثواب والأجر والفضل العظيم، ويمكن تلخيص ما ورد فيما يأتي:

أ - اعتبار سقيا الماء مكرمة من المكرمات وقربة إلى الله:

ولذا أعطها النبي ﷺ أهمية كبرى، إذ رَغَبَ ﷺ في سقيا الحاج كما ورد في حديث حجته الذي يرويه جابر بن عبد الله ﷺ: «ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَاتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، يَسْقُونَ عَلَى زَمَزَمَ، فَقَالَ: «انزِعُوا، بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ» فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ».

قال النووي في شرحه على مسلم: «معناه: لَوْلَا خَوْفِي أَنْ يَعْتَقِدَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْ مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَيَزِدْحَمُونَ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَغْلِبُونَكُمْ وَيَدْفَعُونَكُمْ عَنِ الْإِسْتِقَاءِ لَا اسْتَقَيْتُمْ مَعَكُمْ لِكَثْرَةِ فَضِيلَةِ هَذَا الْإِسْتِقَاءِ».

ب - أن سقيا الماء سبب لتكفير الذنوب:

كما أن سقيا الماء سبب لتكفير الذنوب وباب من أبواب البر، ولذلك وردت عدة أحاديث وآثار ترغب في سقيا الماء وبذله لمن يحتاجه، ومن الأحاديث الواردة حول هذا:

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى

من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملاً خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر» رواه البخاري ومسلم.

• وفي حديث آخر عن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ: «بينما كلب يطيف بركيته، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به». رواه البخاري ومسلم.

ج- أن سقيا الماء من أفضل القربات والصدقات: وما ورد في السنة من ذلك:

• عن سعد بن عبادَةَ، قال: قلت: يا رسول الله، إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم»، قلت: فأبي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء»، وفي رواية أخرى: «قال: قلت: يا رسول الله، أي الصدقة أعجب إليك؟ قال: «الماء»».

• وعن أبي سعيد، وعن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّ مَوْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّ مَوْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّ مَوْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمُخْتَوِمِ» رواه أبو داود: والترمذي قال الألباني: «ضعيف».

• عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ صَدَقَةٌ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ مَاءٍ» رواه البيهقي، قال الألباني: «حسن لغيره».

• عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفُوفًا - وَقَالَ: ابْنُ نُمَيْرٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ - فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقَيْتَكَ شَرْبَةً؟ قَالَ: فَيَشْفَعُ لَهُ، وَيَمُرُّ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاوَلْتِكَ طَهُورًا؟ فَيَشْفَعُ لَهُ - قَالَ: ابْنُ نُمَيْرٍ - وَيَقُولُ: يَا

فُلَانٌ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِي فِي حَاجَةٍ كَذَا وَكَذَا فَذَهَبْتُ لَكَ، فَيَشْفَعُ لَهُ». رواه ابن ماجه: قال الألباني ضعيف.

سُئِلَ ابن عباس رضي الله عنهما: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ الْمَاءُ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى أَهْلِ النَّارِ لَمَّا اسْتَعَاثُوا بِأَهْلِ الْجَنَّةِ قَالُوا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ﴾ [الأعراف: ٥٠].»

والمقصد من هذا هو إتاحة الماء وتوفيره لجميع من يحتاج إليه من الأحياء دون استثناء من إنسان أو حيوان أو غيرهما.

٢- التشجيع على حفر آبار وإجراء السواقي والأنهار: فنجد في السنة النبوية إشارات وإرشادات ودعوات عديدة إلى الناس إلى حفر الآبار وإجراء السواقي والأنهار لما فيها من الخير والأجر الوفير، ومن ذلك:

• مارواه أبو هريرة رضي الله عنه؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا كَرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ» وفي رواية أخرى بلفظ: «... أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ...».

• وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ لِأَجْرِهِنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بئرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ».

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ مَاءً لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ كَبِدٌ حَرَّى مِنْ جَنٍّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا سَبْعٍ وَلَا طَائِرٍ إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...».

وتذكر لنا كتب التاريخ الإسلامي أن عمرو بن العاص لما فتح مصر، وفي أثناء ولايته عليها، استخدم نحو مائة ألف عامل في إصلاح طرق الري في مصر صيفًا وشتاءً.

وخير مثال على ذلك وقف عين زبيدة بنت جعفر المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد، والتي شقت عام ١٦٤هـ، من وادي نعمان شرق مكة إلى مشعر عرفة بمسافة بلغ طولها حوالي ٢٦ كلم، لتسقي الحاج والمعتمر والمقيم، فسخرت لها كل ما تملك من أجل إنشائها وتوصيل الماء، وما زالت آثارها باقية إلى يوم الناس هذا، واستمرت هذه العين لأكثر من (١٢٠٠) عام إلى عهد قريب .

٣- التشجيع على شراء الآبار والعيون ووقفها وتسجيلها:

وخير مثال على ذلك قصة شراء عثمان بن عفان رضي الله عنه بئر رومة وجعلها وقفاً للمسلمين؛ التي كانت ليهودي وكان يضرب عليها القفل ويغيب، فيأتي المسلمون ليشربوا منها الماء فلا يجدونه حاضرًا، فيرجعون بغير ماء، فشكا المسلمون ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «مَنْ يَشْتَرِي بَيْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كِدْلَاءَ الْمُسْلِمِينَ»، فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ.

فَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: «أَنْشِدُكُمْ اللَّهَ، وَلَا أَنْشِدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ»، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ؟ فَحَفَرْتُهَا...» رواه البخاري.

ثالثاً- أبعادها المستقبلية: لها عدة أبعاد ذكرنا جملة منها في المداخلة الكاملة لم يتسع لنا المقام لذكرها هنا فلتراجع هناك .

اليوم الأول: الجلسة العلمية الثانية

إستراتيجية استدامة موارد المياه
في السنة النبوية

د. نورة عبد الله الغملاس

أستاذ مشارك بجامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز بالخرج - السعودية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد... .

أرسل الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ مبشراً وهادياً ونذيراً؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقد تمثل حرصه ﷺ على أمته في صور شتى، ومن صور هذا الحرص ما وُجِدَ في أحاديثه من توجيهات دالة على أهمية الحفاظ على البيئة من حولنا، ومن أهم مظاهر البيئة، وهو وثيق الصلة بالحياة الماء؛ قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ شَيْئًا كُلَّ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ولقد كانت توجيهاته ﷺ بمثابة وثيقة للحفاظ على الأمن المائي الذي ظل يشغل على مر العصور هاجس الشعوب، لاسيما وأنه يتحدث من بيئة شحيحة بالموارد المائية، ولعل ذلك يكون أقدر على رسم سياسة رشيدة، وإستراتيجية دقيقة في استدامة موارد المياه. وقد تضمنت أحاديثه ﷺ توجيهات عميقة رسمت بوضوح إستراتيجية دقيقة، هدفها تحقيق الأمن المائي لتكون مصدرًا لكل مستفيد في رسم خطة لتحقيق الأمن المائي، لاسيما وأن الحاجة ماسة لوضع إستراتيجية لاستدامة الموارد المائية، وتوضيح أهم المرتكزات التي قامت عليها سياسة النبي ﷺ في تحقيق الأمن المائي، ما يسهم في رسم سياسة للأمن المائي للشعوب في ضوء السنة النبوية.

لقد انبثقت سياسة النبي ﷺ في الحفاظ على الماء من الوحي العظيم، استشعاراً لأهمية الماء، وأنه عصب الحياة الذي لا تقوم إلا به؛ فمضى ﷺ قدماً في رسم سياسة لأمته للحفاظ على الماء، لاسيما وهو يعيش في بيئة شحيحة بالموارد المائية؛ فقد كان النبي ﷺ يؤسس لقاعدة عظيمة تهدف إلى الحفاظ على الماء وحمايته من مصادر التلوث؛ فيبين ﷺ أن إيذاء الناس بتلويث مصادر المياه

يوجب اللعن لما يترتب عليه من خسارة عظمى للثروة المائية، وتأثير على النظام البيئي.

ولقد كان هاجس حفظ الماء من الأمور التي أثارت اهتمام النبي ﷺ، فتضمنت التوجيهات النبوية بياناً لأهمية التخطيط الفعال لمواجهة التلوث الذي تتعرض له الثروة المائية بحماية موارد الماء - وإن كانت قليلة - من إلقاء النفايات والقاذورات، مع ضرورة إزالة المواد المؤثرة في جودة المياه والحفاظ عليها.

لقد رسم ﷺ خطوطاً عريضةً وأساسيةً للمحافظة على الماء، وكأنها تفتح الآفاق أمام أهل الاختصاص للدراسة والبحث عن الطرق القوية في حفظ الماء، ودراسة مدى جدواها.

ولئن كانت الوسطية قيمةً من القيم العظيمة التي تميز بها ديننا الإسلامي الحنيف، فقد طبقها ﷺ في التعامل مع مكتسبات البيئة أيضاً، وأدرك النبي ﷺ أن من أكبر المخاطر التي تهدد البيئة: الاستهلاك الزائد عن الحاجة؛ فنادى بالاعتدال، واتخذهُ ﷺ منهجاً فريداً في التخطيط للقضاء على ظاهرة الإسراف، والقضاء عليها. وكان هدفه الأسمى الحد من الآثار السلبية للهدر المائي، لذلك أوجد ﷺ سياسات إستراتيجية جديدة تنبع من شعور أن الإنسان كما أنه مُستَعْمِر للأرض فهو مستأمن عليها بكل ما فيها من مقومات الحياة، وأن التوازن قيمة إسلامية عالية، لا بد من تطبيقها في كافة مناحي الحياة.

إن خفض هدر المياه وتجنب الإسراف فيها، من أهم مقومات التخطيط الاستراتيجي لإدارة الموارد المائية، وقد سعى ﷺ إلى توعية أصحابه بضرورة تغيير الممارسات السيئة في استخدام الماء بعدة طرق؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (أن النبي ﷺ مرَّ بسعدٍ وهو يتوضأ فقال: (مَا هَذَا السَّرْفُ

يَا سَعْدُ؟) قَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ: (نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ)^(١).

إن أخطر ما تعاني منه البيئة اليوم: ظاهرة الاستهلاك والإسراف في الماء، ما يؤثر سلبيًا في كافة الخطط الإستراتيجية، وربما أدت إلى عدم ضمان توفير الماء للأجيال القادمة.

إن من أهم مقومات خطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في استدامة الموارد المائية النهي عن الإسراف فيه؛ فهو يعلم ﷺ أن الإسراف يؤدي إلى عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، لا سيما مع شح الموارد المائية العذبة، وصعوبة الحصول عليها.

إن الإستراتيجية التي وضعها ﷺ لترشيد استهلاك الماء ينبغي أن يُستفاد منها في استشراق المستقبل لمواجهة تحديات الأمن المائي، ليس هذا فحسب؛ بل لوضع معايير دقيقة في استخدام الماء وتقنيته في مجال العبادات ما يُعدُّ حافزًا عظيمًا لتقنين استعمال الماء في جميع المجالات. كما أن التقنين الدقيق كفيل بسد العجز المائي في مختلف البيئات، لا سيما مع وجود بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي إلى استنزاف الموارد المائية التي غالبًا ما يسودها الفهم الخاطئ وتدني مستوى الثقافة، ما يتطلب تدخلًا من الجهات العليا لوضع معايير صارمة وسن قوانين وتشريعات تحدد كميات المياه، وفق خطة محكمة مستمدة من سنته ﷺ.

١- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه (١ / ٢٧٢ / ٤٢٥)، وكذلك أحمد في المسند (١١ / ٦٣٧ / ٧٠٦٦) كلاهما من طريق قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن حبي بن عبد الله المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٢) وقال: «رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقيته رجاله رجال الصحيح) وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٦ / ٤٨١): (إسناده صحيح)، وكان الشيخ الألباني رحمه الله قد ضعفه في) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١ / ١٧١). ثم حسَّنه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧ / ٨٦١) وربما كان سبب إضعاف جماعة من العلماء لهذا الحديث لأن فيه ابن لهيعة، لكن ذكر الألباني رحمه الله أن الحديث من رواية قتيبة بن سعيد عنه وروايته عنه صحيحه وقد استفاد ذلك من ترجمة الإمام الذهبي لقتيبة في سير أعلام النبلاء (١١ / ١٣).

ولما كان المنظور الاستراتيجي للأزمة المائية يتطلب مشاركة كافة الجهات المعنية والأفراد للإحساس بالمسؤولية تجاه الموارد المائية، فقد سعى رسول الله ﷺ - وهو القائد المحنك - لأن يستشعر كل فرد دوره في تحقيق الأمن المائي؛ فكان من أهم أهداف خطته ﷺ لاستدامة موارد المياه العمل على استحداث موارد مائية بسبل شتى، ونشر الوعي بين الأفراد بأهمية ذلك.

لقد أدرك ﷺ أن الموارد المائية من المرتكزات الأساسية للحياة. والاهتمامُ بها واستحداثها يعد أمرًا حيويًا لإدامة الحياة، واستمرار وجودها، وتطورها في شتى النواحي؛ لذلك جعلها من أفضل مكتسبات الإنسان في حياته وبعد مماته.

لقد استطاع ﷺ أن يجعل الجميع يدرك قيمة الثروة المائية ومن ثم المساهمة الإيجابية في تخفيف الأزمة المائية؛ لقد اشتدت حاجة المسلمين للماء؛ فأشعل ﷺ في نفوسهم الحماس لشراء بئر رومة، واستجاب عثمان رضي الله عنه كما في الرواية عنه ﷺ أنه قال: «من يشتري بئر رومة، فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين» فاشتراها عثمان رضي الله عنه^(١).

و لم تعتمد سياسة النبي ﷺ على توفير المياه وحسب، بل كانت منظومة متكاملة في إدارة المياه، شملت جوانب اقتصادية واجتماعية وصناعية، وغيرها. وفي خاتمة هذا البحث الذي تناول إستراتيجية النبي صلى الله عليه وسلم في استدامة موارد المياه، واستعرضنا فيه الأحاديث النبوية التي بينت سياسته صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الماء، بوصفه عنصرًا مهمًا من عناصر البيئة.

١ - أخرجه البخاري تعليقًا في صحيحه كتاب المساقاة، باب الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسومًا كان أو غير مقسوم صحيح البخاري (٣ / ١٠٩) بلفظه وأخرجه في كتاب الوصايا باب: إذا وقف أرضًا أو بئرًا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين (٤ / ١٣ / ٢٧٧٨).

ولعل من أهم النتائج التي توصلت إليها:

- وَضَعَ النبي صلى الله عليه وسلم استراتيجياتٍ واضحةً للتعامل مع الأزمة المائية.
 - سياساتُ النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ الماء واقعيةٌ وشاملةٌ وسهلةُ التطبيق.
 - تطبيقُ إستراتيجية النبي صلى الله عليه وسلم في تنمية الموارد المائية والمحافظة عليها كفيلٌ بالقضاء على الأزمة المائية العالمية.
 - وأما التوصيات؛ فنوصي بما يأتي:
 - الاستفادة من الأحاديث النبوية في الدراسات الحديثة لمعالجة الأزمة المائية.
 - ضرورة زيادة الوعي بأهمية التعامل مع الماء، على أنه من أهم عناصر البيئة وأنه مُعرض للفقْد.
 - ضرورة أن يتبنى المختصون وضعَ إستراتيجية متكاملة في التعامل مع الأزمة المائية، معتمدةً على الكتاب والسنة.
- هذا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الأولى

أثر الإيمان بالله تعالى في تحقيق الأمن المائي
في السنة النبوية

أ. د. عبدالكريم نوفان عبيدات

رئيس فرع بني كنانة القرآني - المملكة الأردنية الهاشمية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد:

ابتداءً: أتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة الوصل - بكل منسوبيها، بدءاً برئيسها، وعمداء كلياتها، ورؤساء أقسامها، وموظفيها وطلابها - على تنظيم عقد الندوة الدولية العاشرة للحديث النبوي الشريف بعنوان:

الأمن المائي في السنة النبوية (الاستراتيجيات والمقاصد)

فإن من أجل نعم الله على عباده أن هداهم إلى صراطه المستقيم، وأرشدهم إلى رعاية مصالحهم وفق منهاجه القويم، وزودهم بالسبل التي تعينهم على مهمة استخلافهم في الأرض، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية: ١٣ .

وكان من أهم ما سخره لهم - في هذه الأرض - نعمة الماء، التي بها قوام حياتهم؛ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ١٠ - ١١ .

وحين يقال: إن الماء عصب الحياة، فلا أدل على ذلك من نشوء الحضارات الإنسانية وازدهارها حول منابعه ووديانه ومجاريه وروافده، واندثار الكثير من الحضارات القديمة - أيضاً - بسبب نضوبه أو إتلاف مصادره، وقيام الكثير من الحروب والصراعات والنزاعات حول منابع المياه على امتداد التاريخ الإنساني. ويتوقع الكثير من الخبراء احتدام هذه النزاعات والصراعات في المستقبل، بل واندلاع الحروب بسبب السيطرة على مصادر المياه النقية. وحالياً، تتعالى الأصوات من كافة التخصصات في كل من الشرق والغرب، مطالبةً بالحفاظ على قطرة الماء نظيفةً، وكفالة وصولها إلى كل فرد، بوصفها حقاً إنسانياً مؤكداً،

وخاصةً في المجتمعات الفقيرة. بل، وتطالبُ هذه الأصواتُ - أيضا - بسنّ المزيد من القوانين والتشريعات؛ بدءًا بالفرد، وانتهاءً بالهيئات الدُولية، وذلك لحماية الماء من التلوّث أو الإهدار.

ولا يخفى على كل ذي بصيرةٍ ما يواجهه العالمُ اليومَ من قلقٍ على هذه الثروة، واحتدام النزاع بين دُوله في كيفية تحقيق الأمن المائي لشعوبه، وكيفية التغلّب على المعيقات التي تعترض تحقيق هذا الأمن.

ولقد حفلت السنّة النبوية بمنظومةٍ من الأحاديث التي ورد فيها لفظُ الماء، مذكرةً بهذه النعمة على الإنسان، ووجوب شكرها، وداعيةً إلى احسان استغلالها، والتحذير من إهدارها، أو التعسّف في استعمالها، بل وجاءت السنّة بتأكيد حقّ كل إنسان فيها؛ قال صلى الله عليه وسلم: «المسلمون شركاءُ في ثلاثٍ، في الكَلِّ، والماءِ، والنَّارِ».

وعندما نتكلّم عن مُعيقات الأمن المائي في السنّة النبوية؛ فإنما نقصد بذلك كلّ سلوكٍ بشريٍّ؛ من شأنه أن يُنقصَ من كمية الماء اللازم لحياة الإنسان والأحياء على هذه الأرض، أو يُسهمَ هذا السلوك في تلوّث الماء؛ حيثُ يجعله غير صالح للاستهلاك البشري، أو غير صالح لحياة النبات والحيوان.

وإذا تأملنا السنّة النبوية، سنجد العديد من الإجراءات التي تشير إلى هذه المعيقات، وفي الوقت نفسه تُرشد إلى طرق معالجتها والتغلّب عليها، ومن أهمّها:

١- ضَعْفُ الإِيْمَانِ، والتَقْصِيرُ فِي الْوَأَجِبَاتِ، وَارْتِكَابُ الْمَحْرَمَاتِ:

فالمعاصي وعدم القيام بما أوجب الله على عباده من الطاعات؛ سببٌ من أسباب انحباس المطر، وتهديدٌ للأمن المائي، لأن المعاصي موجبةٌ لغضب الله تعالى، وما استُجلب رزقٌ بمثل ترك المعاصي.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم: ٤١.

ومن ثم، فإن التقرب إلى الله تعالى بالطاعات؛ وتحقيق أهل الأرض للإيمان في واقع حياتهم اليومية سبيلٌ مؤكدٌ لتحقيق الأمن المائي.

٢- النهي عن الإسراف في الماء المستعمل للطهارة وغيرها من استعمالاته في نواحي الحياة المختلفة:

فالقصد والاعتدال في الأمور كلها من خصائص الأمة الإسلامية ومن أهم مقاصد شريعتها، وبالتالي يصبح النهي عن الإفراط والتفريط مبدأً إسلامياً هاماً، وخاصة فيما يتعلق بأنشطة الحياة اليومية وسلوكيات الاستهلاك في الأطعمة والأشربة، وذلك لما يترتب عليها من الحفاظ على الموارد من جهة؛ وصيانة البيئة المحيطة من جهة أخرى؛ قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١.

٣- النهي عن تلويث الماء:

فقد نهت السنة النبوية عن إحداث تغييرات في طبيعة الماء ونوعيته وخصائصه، ما يجعله غير صالح للاستخدام البشري والحيواني والنباتي، إذ يحدث ذلك بإضافة موادّ دخيلة أو ملوثة مثل: المواد الكيميائية، أو البكتيرية، أو النجاسات؛ من بول أو غائط أو دم ونحوها، أو حتى على شكل طاقة حرارية أو إشعاعية للأنظمة البيئية المائية المختلفة.

ويعدُّ تلويث الماء من أبرز المعوقات للأمن المائي، لأنه يفقده خصائصه التي تجعله صالحاً للانتفاع البشري والحيواني والنباتي. وكان هذا النهي مرتبطاً باستشارة الإيمان في النفس المؤمنة بعدم الإقدام على مثل هذا السلوك.

٤- النهي عن تغوير الماء، أو إتلاف موارده:

فقد جاء في السنة النبوية ما يؤكد حماية مصادر الماء، والنهي عن كل تصرف فيه إنقاص الماء، بتغوير مصادره أو إتلافها. وكان من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشاً أن لا يتلفوا مصادر الماء؛ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشاً من المسلمين إلى المشركين قال انطلقوا باسم الله - فذكر الحديث وفيه: «ولا تقتلوا وليداً طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً ولا تغورنّ عيناً...». أخرجه النسائي في السنن الكبرى.

٥- الدعوة إلى حفر الآبار أو آية موارد تسهم في تحقيق الأمن المائي:

فمن أهم الأمور التي تسهم في تحقيق الأمن المائي: البحث عن مصادر جديدة للماء، كحفر الآبار، وإنشاء السدود ونحوها، فقد جاء في السنة النبوية الدعوة إلى حفر آبار المياه، لاستخراج ما في باطن الأرض من المياه الجوفية، ورتب الأجر على هذا الفعل؛ فعنه صلى الله عليه وسلم: «من حفر ماءً، لم تشرب منه كبِدٌ حرّى من جنٍّ ولا إنسٍ ولا طائرٍ إلاّ أجره الله يوم القيامة» (رواه ابن ماجه) ويقاس على ذلك: إنشاء السدود أو الحفائر، لتجميع الماء النازل من السماء، ما يسهم في تحقيق الأمن المائي في الوقت الحاضر.

٦- تشجيع السنة النبوية على إحياء مشاريع وقف الماء:

فلقد كان الإيمان بالله تعالى الباعث الأول على إنشاء هذه الوقفيات، تقرباً إلى الله عزّ وجلّ، دافعهم في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةٍ فَيَكُونَ دَلْوُهُ فِيهَا كَدْلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهَا مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟».

ولا شك أن كل ما تقدّمت الإشارة إليه يدل على حرص السنة النبوية على تحقيق الأمن المائي، وهي توجيهات؛ تستثير في نفس المؤمن إيمانه بالله تعالى، وإلا فليس من سلطة في الدنيا تستطيع أن تُلزم أحداً بالالتزام بحماية الأمن المائي

للأفراد والجماعات بشكل صحيح، ومن ثم وجب ترسيخُ هذا الإيمان في نفوس الناس، ليكون ضامناً لضبط سلوكهم في الحفاظ على الثروة المائية؛ التي تتعرض لاستنزاف كبير في عالمنا المعاصر؛ فهذا الإيمان قادر في كل الأحوال على مراقبة سلوك الناس، حتى في خلواتهم.

وإذا تأملنا في الأسباب التي أدت إلى عدم تحقيق الأمن المائي في الوقت الحاضر؛ وجدنا أن من أهمها ما يعود إلى ممارسات الإنسان وسلوكه في التعامل مع الماء، بطريقة غير سوية؛ سواءً بإهداره، أو بتلويثه، أو بعدم الحرص على البحث عن مصادر جديدة، تُمدُّ البشرية بمزيدٍ منه، وصولاً إلى تحقيق الأمن المائي للأفراد والمجتمعات.

وقد جاء هذا البحثُ لِيَسَلِّطَ الضوءَ على بيان أثر الإيمان في التعامل مع الماء، كقضية قيم سلوكية إنسانية، وما تجسده هذه القيم من أحكام شرعية، بمردوداتها الإيمانية، من ثواب أو عقاب في الدار الآخرة، والتركيز على بيان أثر الإيمان في التغلب على المعوقات التي تعترض تحقيق الأمن المائي في عالمنا المعاصر، وتأكيد: أنه لا يمكن تحقيق هذا الأمن - بمدلوله الشامل - إلا من خلال الإيمان بالله تعالى وترسيخ الخوف منه سبحانه في النفس البشرية، لتكون رقابة الإنسان على نفسه نابعة من داخله، لا أن تُفرض عليه بالسيف والقانون؛ فإن من آمن بالله وخاف من عذابه؛ أمن الناس من إساءة تصرفاته في التعامل مع الماء، كما يدلُّ عليه سلوك الناس في الوقت الحاضر.

ومن المؤكد أن الدعوة إلى تحقيق الأمن المائي - الذي يسعى هذا المؤتمر إلى تلمس طريق الوصول إليه اليوم - نجد في السنة النبوية معالم هادية تُرشد إليه، وتكفل تحقيقه من خلال ما تقدمت الإشارة إليه.

ومن ثمّ فإنّ تعزيزَ القيمِ الإيمانيّةِ عندِ الناسِ مهمٌّ في الوقتِ الحاضرِ لضَبْطِ السلوكِ البشريِّ في التعاملِ معِ الماءِ، لأنّ الإيمانَ باللهِ تعالى هو أهمُّ مقوِّمٍ لضَبْطِ هذا السلوكِ، وأنّ الدرسَ الكبيرَ الذي ينبغي استخلاصُه هو أننا أين ما عملنا؛ يجب أن نتفحصَ الثقافةَ المحليّةَ والنظامَ الإيمانيّ، وأن نتعلّمَ منهما ونعملَ من خلالهما، بدلاً من فرضِ معتقداتٍ بشريّةٍ خاصّةٍ، فقد تعلّمنا أن أكثرَ الحلولِ استدامةً؛ هي تلك التي يطورها الباحثون من أبناءِ البلدانِ الناميةِ، والتي تعكسُ قيمَ مجتمعاتهم.

والحمد لله رب العالمين.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الأولى

الإستراتيجية العملية في السنة النبوية
للتغلب على ندره الماء

د. محمد سيد أحمد شحاته

أستاذ - جامعة الأزهر كلية أصول الدين - أسيوط - جمهورية مصر العربية

الحمد لله الذي تفضل علينا بنعم لا تُعدُّ ولا تحصى، ومن أجلَّ نعمه وعطاياه الماء الذي جعل منه كلَّ شيء حيٍّ، وأشهد أن لا إله إلا الله، صاحب الفضل فيما أسدى، والحمد فيما أولى، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أمر بالمحافظة على النعم، وأمر أتباعه بعدم الإسراف، أما بعد؛

فأشكر لجميع القائمين على الندوة، والله أسأل أن يجعل ما قدّموه للعلم وأهله في ميزان حسناتهم. أما عنوان ورقتي فهو (الإستراتيجيات العملية في السنة النبوية للتغلب على ندرة الماء).

من المعلوم أن الماء محطُّ أنظار البشرية منذ القدم؛ لذا ظهر في الآونة الأخيرة اهتمام الدول بالماء بوصفه أحد أهم عناصر البيئة، ووضعت قوانين تنظم التعامل معه، وهذه القوانين سبقتها تشريعات نبوية، للحفاظ عليه، وعدم الاعتداء؛ فالحاجة إليه مُلحة لا سيما عند المسلم؛ إذ أنّ حاجته إلى الماء أكثر من حاجة غيره إليه؛ فطهارته في اليوم متجددة وواجبة، لذا شرع للمسلمين صلاة الاستسقاء طلباً لنزوله، ووضعت السنة النبوية التدابير التي تحافظ على هذه النعمة من الإهدار، وتعمل على استجلابها عند فقدها، والبحث عنها.

وإنّ أجمع ما وضعته السنة النبوية للتغلب على أزمات الماء وندرته الحلولُ الاستباقية، التي تُعدُّ نوعاً من استشراف المشكلة، ووضع خطط مستقبلية لها، ثم إدارتها للتغلب عليها عند حدوثها، وبناء نماذج مستقبلية؛ وهذا نوع من الإبداع والتميز.

ويعد الاستشراف الاستراتيجي من الطرق الجديدة والمفيدة لوضع الحلول المستقبلية؛ إذ يعمل على تعميق إدراك المستقبل، من خلال جمع أكبر قدر من المعلومات، واتخاذ أفضل القرارات، ووضع خطة إستراتيجية تتماشى مع الظروف المستقبلية المحتملة، وسرعة التصرف.

لذا جاء في السنة النبوية من التدابير الاستشرافية ما يمكن أن يتغلب به على ندرة الماء وقلته، وهذه التدابير فيها اعتراف بنعم الله العظيمة، ومنه على خلقه؛ فالماء قوام الحياة، تحيا به الأرض بعد خمود وخشوع، أهون موجود، وأعز مفقود، فلا حياة للمخلوقات دونه، وما من إنسان أو حيوان أو نبات إلا ويحتاج إلى الماء. ومن أهمل هذه النعمة وبالع في الإسراف فيها عوقب بالفقد فضلاً عن أنه خالف الشرع، وصار من المبذرين إخوان الشياطين. ومن هنا، جاء التحذير الشديد، والوعيد الكبير من التهاون به، ولكن من فضل الله أن العقلاء يقدرّون هذه النعمة ويعرفون قيمتها، ويحافظون عليها.

ومن أجل الماء قامت الحروب، وجعله الله سبباً لانتصار أقوام وهزيمة آخرين، وغنى أقوام وافتقار آخرين، ورفعة أقوام ووضع آخرين؛ فهو عصب الحياة وشريانها.

وهناك عوامل تؤدي إلى قلته ونقصانه؛ يتحد بعضها في كل مكان، ويختلف بعضها الآخر باختلاف الأماكن، ومعظمها مما عملت أيدي البشر؛ فالمحافظون على الماء قليل.

ويعدُّ الإسرافُ في استعمال الماء أهمَّ أسباب فقده؛ فمن بالغ في استغلال ما لا يحتاج إليه، عوقب بالحرمان مما يحتاج إليه، ولا شك أن النعم يحافظ عليها بالشكر، ومن أعظم أنواع الشكر استشعار قيمة النعمة، وعدم الإسراف في استعمالها. وقد حث الشرع الحكيم على الاقتصاد في استعمال نعمة الماء؛ لذا نبه على ضرورة الاعتدال في استعماله، وعدم تجاوز حدِّ الاعتدال؛ فمن أسرف فقد خالف الهدى النبوي الذي جاء النهي فيه عن الإسراف، ولو على نهر جار.

ولقد أخبر النبي ﷺ عن الإسراف الكائن الآن من بعض الناس، بقوله: «إنه

سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُّعَاءِ»^(١).

فالحديث يشير من طرف خفي إلى ضرورة الاعتدال في كل شيء؛ فهو من باب التنبيه على فضل الاقتصاد وقبح الإسراف. والنهي عن الإسراف لا يشمل الإسراف في استعماله في الزراعة والصناعة وغيرها. وإذا وقع الشخص في شبك الإسراف صار طبعاً له في مأكله ومشربه وملبسه، وأضحى ضرره كبيراً، وشره مستطيراً؛ لذا نهى عنه العليم الخبير. وإذا كان النهي عن الإسراف في استعمال الماء للعبادة، فالنهي في غيره أشد وأكدر.

وكذا من أسباب قلة الماء إهداره وتلويثه؛ وقد منعت السنة النبوية الناس من إهدار الماء، أو التسبب في تلويثه بأي وجه من الوجوه؛ إذ أن في إفساده منعاً من استعماله، وتكليف المجتمع بالتخلص منه، فيكون قد جمع الضرر من جهتين: الأولى: تلويثه، والثانية: تكاليف التخلص منه.

وهذا التلويث مظنة الإضرار بالغير؛ فقد يفتك الماء الملوث بالكائنات الحية، لذا دعت السنة إلى العناية بنظافة الماء، وعدم التعدي عليه بالإفساد الذي يضر العباد، ومن الأحاديث النبوية التي تؤكد ذلك حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبُرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ»^(٢).

ورأينا في زماننا هذا من أفسد الماء بطرائق عدة؛ فبعضهم يلقي مخلفاته، ومخلفات الحيوانات، والمبيدات في الأنهار والترع، ما يتسبب في إفساد البلاد،

١- أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الإسراف في الوضوء، (١/ ٣٦) رقم (٩٦)، وأحمد في المسند، (٢٧/ ٣٥١) رقم (١٦٧٩٦)، (٢٧/ ٣٥٦) رقم (١٦٨٠١)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين، (١/ ٢٦٧) رقم (٥٧٩)، وقال ابن كثير: "إسناد حسن لا بأس به"، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٤٢٩).

٢- أخرجه أبو داود، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها، (١/ ١١) رقم (٢٦)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، (١/ ١١٩) رقم (٣٢٨)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين، (١/ ٢٧٣) رقم (٥٩٤)، وصححه الحاكم والذهبي.

والإضرار بالحِث والنسل.

ومن أسباب قلة الماء نشوب الحروب، وهي مظنة الضرر من جوانب عدة لا سيما الاقتصاد، والآن ظهر ما يسمى بحرب الماء، وفيه تقوم بعض الدول ببناء سدود، ووضع الحواجز التي تتسبب في إضرار غيرها.

هذه بعض أسباب قلة الماء وندرته، ولو تم تلاشي الأسباب لوفر البشر لأنفسهم ولغيرهم الكثير من الماء التي تهدر أو تستنزف بلا ضرورة.

وسأعرجُ الآن على كيفية التغلب على تلكم الأسباب، من خلال استراتيجيات وضعتها السنة النبوية مثل المحافظة على مصادر المياه من التلوث بأي وجه من الوجوه، ومنع التبول فيه، وكذا منع التنفس في الإناء أثناء الشرب، وتغطية الأواني وربط الأسقية، فينبغي أن يتم الحفاظ على مياه الشرب في البيوت، وكذا ماء السبيل، ومياه الخزانات، وذلك بتغطيتها من الأتربة والحشرات التي قد تسقط فيها، فعدم تغطيتها يتسبب في إهدار الماء الذي تعرض للضرر، لذا دعت السنة إلى المحافظة عليها.

ومن هذه الإستراتيجيات ترشيد استهلاك المياه؛ ولهذه الإستراتيجية عدة صور أبرزها: التدريب على المحافظة على الماء أثناء الطهارة؛ ففي نصوص السنة النبوية دعوة إلى الاقتصاد في استعمال الماء، وعدم المبالغة في ذلك، وفي هذا تعليمٌ عدم إهدار الماء، ولو كان للعبادة، فكيف بما سواها؟! ولذلك أباحت الشريعة أداء الصلوات كلها بوضوء واحد، ما دام المسلم باقياً على طهارته، وأجازت المسح على الخف؛ وهذا نوع من توفير الماء.

إن المستبصر للطريقة العملية في استعمال الماء يدرك احترام النعم وصيانتها؛ فالاعتدال والوسطية منهج حياة المسلمين في العبادة والعادة، ثم إن الناظر إلى هذه النماذج يدرك أن السنة النبوية عرّفت المسلمين بقيمة الماء، وعلمتهم عدم

الإسراف في استعماله، ولو كانت الأنهار تجري من تحتهم، والأمطار تنزل من فوقهم، وهذا الاقتصاد جزء لا يتجزأ من تصرفات المسلم. وإن الرائي لا يشاهد إلا ما يدعوه إلى الإجلال والإكبار والتقدير لهذه النعمة؛ فإذا رأيت ثم رأيت احتراماً لنعم الله.

والإستراتيجية الثالثة: تحريم الإسراف؛ فالسنة النبوية حذرت أتباعها من الإسراف، وبينت خطره، وأمرتهم بالاقتصاد؛ فقد يظن المتعبد أن إسرافه في استعمال الماء لا شيء فيه؛ وأنه نوع من إسباغ الوضوء؛ لذا تم التفريق بين الإسباغ والإسراف، وقد نهى النبي ﷺ عنه ولو كان على نهر؛ فكيف إذا كان الماء محدوداً، والحاجة إليه شديدة؟!.

والإستراتيجية الرابعة: النهي عن امتلاك الماء العام، والاستحواذ عليه، ومنع الناس منه؛ إذ الماء النازل من السماء، والخارج من الأرض من فضل الله الذي لا يمنع، ولا يتسنى لبشر أن يمنع فضل الله، «فالمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ»^(١). وقد قرر الحديث مبدأ الشراكة بين الناس في هذه الثلاث، التي لا دخل لهم فيها، بل أمرت أتباعها ببذل الماء وعدم منعه، فعن أبي هريرة، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ؛ لِيُمْنَعَ بِهِ فَضْلُ الْكَلَاءِ»^(٢)؛ فليس لأحد أن يضع سياجاً حول ماء في صحراء ليختص به نفسه دون خلق الله، أو يستأثر به لنفسه. وفي عدم منع الماء تقريراً لمبدأ الشراكة بين الناس، وتغلباً على استحواذ بعضهم على الماء. وهذا أحد طرق التغلب على أزمة ندرة الماء؛ فماء الواحد يكفي الاثنين.

١- أخرجه أبو داود، كتاب الإجارة، باب في منع الماء، (٣ / ٢٩٥) رقم (٣٤٧٩)، وأحمد في المسند، (٣٨ / ١٧٤) رقم (٢٣٠٨٢)، وقال الشيخ شعيب: "صحيح".

٢- أخرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب من قال إن صاحب الماء أحق بالماء حتى يروى لقول النبي ﷺ: (لا يمنع فضل الماء)، (٢ / ٨٣٠) رقم (٢٢٢٦)، ومسلم، كتاب البيوع، باب النهي عن بيع فضل الماء، (٥ / ٣٤) رقم (٤٠١١).

والإستراتيجية الخامسة: صلاة الاستسقاء، ولهذا أثره الكبير المشاهد في التغلب على ندرة الماء؛ إذ أن نزول المطر بفضل الله، لا دخل للبشر فيه، وإنما يتنزل بتذللهم وتضرعهم وإظهار ضعفهم، ومن كمال الإيمان أن يربط المسلم نزول المطر بتصريف الله سبحانه؛ لذا إذا قل الماء هرع المسلم إلى مولاه يطلب عطاياه، فيظهرُ ضَعْفَهُ وذُلَّهُ إلى خالقه، واحتياجه لمن بيده ملكوت كل شيء.

ومن طرق استجلاب الماء البحث عن بدائل للتغلب على ندرته؛ فالسنة النبوية وضعت بدائل عدة للبحث عن الماء، مثل تنوع مصادره كحفر الآبار، والبحث عن بدائل للطهارة كالتطهر بماء البحر؛ فاستعمال ماء البحر للتطهر يجعل الماء المتاح للشرب متوفراً؛ إذ أن أغلب استعمال الناس للماء في بيوتهم لطهارتهم ونظافة آيتهم؛ لذا، لو تم استعمال ماء البحر لبقية الكثير من الماء العذب للاستعمال في الطعام والشرب والزرع.

وشرع الإسلام التيمم بديلاً عن الوضوء عند فقد الماء أو العجز عن استعماله، وكذا أباحت استعمال الماء المتبقي من الوضوء أو الاغتسال، أو بالماء الذي أصيب بنجاسة غير مؤثرة، وما دامت النجاسة لا تؤثر فلا داعي لترك الماء وعدم استعماله، بل تركه - والحالة هذه - من الإسراف المنهي عنه، وفيه تبديد للثروة المائية.

وكذا أباحت استعمال الماء المستعمل في الطهارة بعد معالجته في ريّ الأراضي لا سيما الصحراوية، واستعمال مياه الصرف الصحي المعالجة في الأغراض الزراعية والصناعية. ومن محاسن استعمال مياه الصرف الصحي المعالجة المحافظة على احتياطي المياه؛ فاستعمال هذه المياه المنقاة بالطرق العلمية في مجالات الريّ الزراعي، وريّ الحدائق العامة، والأماكن الترويحية، وتغذية المياه الجوفية مستقبلاً، وفي التبريد، والأغراض الصناعية، وغسيل السيارات، وتنظيف ساحات البيوت والمباني، ونحو ذلك، لا بأس به، بل أعدّه من الضروريات؛ توفيراً للمياه الصالحة للشرب.

تلكم أهمُّ الطرق والوسائل التي وضعتها السنة النبوية للتغلب على أزمة ندرة الماء، والتي ينبغي على الناس أن يعملوا على تطبيقها.

من خلال ما سبق، يظهر أنَّ أهمَّ أسباب حدوث ندرة الماء هو: الإسراف في استعمال الماء، وتلويث الماء، ونشوب الحروب، وادّخار الماء الزائد على الحاجة، وقلَّة مصادر المياه.

وإنَّ الإستراتيجية النبوية المتبعة في التغلب على أسباب ندرة الماء هي: إستراتيجية ترشيد استهلاك المياه، وإستراتيجية تعريف الناس بأهميَّة المياه وقيمتها، وتحريم الإسراف، وإستراتيجية المحافظة على مصادر المياه من التلوث، وإستراتيجية بذل الماء والتصدق به، وصلاة الاستسقاء.

وإنَّ الإستراتيجيات النبوية للبحث عن بدائل للتغلب على ندرة الماء هي: إيجاد مصادر متنوعة للمياه، وإستراتيجية البحث عن بدائل للطهارة، وإستراتيجية استعمال الماء الفاضل ما لم يُحدِث ضرراً، واستعمال الماء الذي وقعت فيه نجاسة لا تؤثر فيه، واستعمال الماء المستعمل في الطهارة للرّي والزراعة. وهي إستراتيجيات تتسم بالعموم والشمول؛ فهي تجمع بين الوقاية والعلاج، وهذه التوعية العامة ينبغي أن تكون في المساجد والمدارس، وفي مناهج التعليم، من خلال التنسيق بين هذه الجهات؛ ذلك أن الحفاظ على الماء يحتاج إلى تغيير أساليب المجتمع في استعماله، ووضع بعض الخطط التي تعمل على الحفاظ عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الأولى

الأمن المائي في السنة النبوية
الإستراتيجيات والمقاصد

عمر عبد العزيز سعود الجرمللي

طالب دكتوراه في الفقه العام - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

الحمد لله الذي جعل دينَ الاسلام خاتماً لجميع الأديان، صالحاً للتطبيق في كل زمان ومكان، والصلاة والسلام على رسول الله الذي بُعث للناس كافة على اختلاف أجيالهم، وعلى آله وصحبه اجمعين.

أما بعد:

فإنه يطيب لي أن أتقدم بأسمى كلمات الشكر والعرفان لسعادة الأستاذ الدكتور حمزة المليباري المحترم الأمين العام لندوة الحديث الشريف، كما أتقدم بالشكر والامتنان للجنة الإدارية واللجنة المحكّمة لهذه الندوة، ولجميع من أسهم في إتمام هذه الندوة المباركة: «الندوة العلمية الدولية العاشرة للحديث الشريف، تحت عنوان: «الأمن المائي في السنة النبوية - الإستراتيجيات والمقاصد».

وأحيي الجميع بتحية الاسلام، وأقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

إننا إذا ما دققنا النظر في النصوص النبوية التي تخص المياه، نجد أن في معانيها قواعد إجرائية ومبادئ عامة في الأمن المائي، بالإضافة إلى ما يتنج عنها من استراتيجيات ومقاصد؛ لذا اقتضت طبيعة بحثي أن أجعل هذه النصوص على أقسام: فمنها الإداري، وهو القسم الأول: الذي ينص على الأولوية والترتيب في توزيع الحصص المائية بعد إحصاء عدد الأفراد، مع تقديم المشاريع التي تشكل قدراً ضرورياً لإدامة الحياة، ثمّ القدر الحاجي، ثم القدر التحسيني. والقسم الثاني: الذي يؤكد ضرورة الاقتصاد وترك السرف حتى على مستوى العبادات، مع تحريم السلوك الفردي والجماعي المسبب للإجهاد المائي. ولقد استنتجت منه أن السنة النبوية تجعل علاقة الإنسان بالماء علاقةً حقّ تنتهي باستيفاء حاجته القائمة، واستعمال البديل عن المياه النقية إن كانت النتيجة واحدة أما القسم الثالث: فوجدت في نصوصه إجراءات وقائية في استعمال المياه؛ تبدأ من الحفاظ على أعظم مورد مائي، وهو النهر بتحريم ما يؤدي الى إفساد الخواص الطبيعية لمياهه، وتنتهي بأبسط الإجراءات المنزلية والشخصية الوقائية نحو تغطية الأواني

وغسل اليدين بعد الاستيقاظ من النوم، وتخصيص اليد اليمنى للأكل والشرب، والابتعاد عن الشرب من فم السقاء، والشرب دفعة واحدة، وذلك كله حفاظاً على صحة الإنسان وتكريمه. أما القسم الرابع: فقد تضمنَ نصوصاً تحثُ على تطوير مصادر المياه وتنميتها، نحو حفر الآبار ووقفها، وجعل بعض الموارد المائية صدقة للمسلمين، وتمليك الأرض مكافئة لمن أحيها بتوفير الماء فيها، والقسم الخامس: تضمنَ النصوص الإصلاحية التي تضمنت السعي لاستصلاح المياه والمساهمة في تحسين أجواء المناخ كالتشجير الذي يساعد على تخفيض درجات الحرارة، وإزالة الآفات النباتية المائية التي تستهلك كميات كبيرة من المياه.

أما بالنسبة إلى نصوص المبادئ العامة فقد أكدت أمرين مهمين: أولهما مبدأ المشاركة بين الناس في حق الانتفاع بالمياه، والثاني: عدم حرمان الناس من الثروات العامة وبخاصة المياه.

هذا وقد أكدت النصوصُ أن أزمة شحِّ المياه إن ظهرت فهي دليل على خلل في الالتزام بنظم التوزيع المقررة شرعاً، أو تفريط في قوانين الاستقامة على دين الله، لأن هبة الماء مشروطة بالامتثال لأمر الله ونواهيهِ.

ويتسع الأمر في النصوص المائية لتشكّل بعد ذلك مقاصد تدلُّ على أهمية المياه وما يُسهم به من علو في كافة جوانب الحياة؛ فالأمر الأول في هذه المقاصد: هو الحفاظ على الحياة (يُعَدُّ الماءِ أَحَدَ) العناصر الضرورية لبقاء الكائنات الحية. والأمر الثاني: هو العيش الكريم لاعتماد الإنسان على الماء لقضاء احتياجاته في إعداد الأطعمة والمشروبات، وكذلك السقي والتنظيف والصناعة، بالإضافة إلى استعماله في تخفيض الحرارة وإخماد النيران ودفع الأذى. أما الأمر الثالث، وهو الازدهار: لأن أكثر الحضارات ازدهاراً وُجِدَتْ على ضفاف الأنهر؛ لأن مياه الأنهر تنتج عنها عدة ثروات: نحو الثروة السمكية، والثروة المعدنية، والثروات التي تُستخرج من قاع المياه، بالإضافة إلى استغلالها في إنتاج الطاقة، بل تعدى

الأمر إلى أكثر من ذلك، فصارت هذه المياه وسيلةً من وسائل الترفيه والترويح عن النفس.

وبعد ذلك جاء عرض نصوص السنة النبوية التي تعزز الأمن المائي: نحو المقاصد الضرورية التي تتضمن الحثَّ على التعمير والإحياء، إما بحفر بئر أو نهر، أو زرع نخل، مع ضرورة الالتزام بحفظ نظام التعايش؛ كي يُستدام تبادل المنافع بين الناس، والحرص على التوازن البيئي؛ لأن عناصر البيئة يكمل بعضها بعضاً؛ فمجموعة العناصر غير الحية: الماء، والهواء، والتراب، والشمس؛ ينتج عنها مجموعة العناصر الحية: نحو النباتات التي تكون غذاء مجموعة العناصر الحية المستهلكة؛ وهي الكائنات الحيوانية بما فيها الإنسان. أما بالنسبة إلى المقاصد الحاجية نحو تشجيع النشاط الزراعي بوصفه وسيلةً لنيل الرزق ووسيلة لنيل الثواب؛ هذا من جانب، ومن جانب آخر: فمن المقاصد الحاجية أيضاً جلب النبوغات الفكرية لدعم الابتكارات والإبداعات في الجانب المائي التي تعزز من تطوير مشاريع المياه. ثم تختتم مقاصد الأمن المائي بالحديث عن المقاصد التحسينية ذات البعد الترفيهي: نحو إقامة الحدائق والمنتزهات بين المساكن العمرانية، وتزيينها بما تشتهي النفوس والأعين من نخل وشجر وزهر وخضرة ونوافير؛ فهذا التعمير البيئي يملأ شعوراً بالجمال، ويدخل على النفس سروراً يجعلها أقوى به على الطاعة وتجديد النشاط، وأبعد عن الملل والانقطاع. ولم يخلق الله تعالى موارد الطبيعة وأصناف الحيوان في أشكال متباينة وألوان شتى، إلا لغرض الترويح المباح، والاستمتاع المشروع.

وفي الختام، أحمد الله وأشكر له أن وفقني إلى إعداد هذا البحث المتواضع، وأشير هنا إلى أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وذلك على النحو الآتي:

١- إن العمل بمبدأ: «لا ضرر ولا ضرار» في الجانب المائي، يصلح أن يكون حلاً

لمشكلات الأمن المائي قبل وقوعها، والمبادرة بالضرر يمكن أن يُفَعَّل مبدأً مضاد اسمه: «المعاملة بالمثل».

٢- إن النصوص والمبادئ العامة التي وُضِعَتْ لحل مشاكل المياه المشتركة؛ ترجع جذورها إلى الفكرة القائلة بأن الجميع مُلْزَم بالتعاون معاً في حقوق الانتفاع المشترك في المياه.

٣- ثلاث آفات تفتك بالأمن المائي؛ «الإسراف، والتلوث، والاحتكار»؛ وعلاجها عَرَفَتْ به السنة النبوية في أمثل علاج وأيسره، وهو ثلاثه حلول: «الاقتصاد، والوقاية، والتشارك».

٤- الإدارة والتوعية هما ما يحتاج إليه في تعزيز الأمن المائي؛ فلإدارة والتوعية المائية دورٌ كبير في ترشيد الاستهلاك.

التوصيات: يوصي الباحث بما اشتهر من القول: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»، وعليه أوصي بما يأتي:

- الاهتمام بإعمار الجانب المائي، والسعي لتطوير المشاريع المائية التي تصب في مصلحة المجتمع.
- الماء أهون موجود وأصعب مفقود؛ ودوامه يكون بالشكر لله والاستقامة على دينه، واتباع هدي نبيه صلى الله عليه وسلم.
- الأعمال الخيرية في الجانب المائي؛ أيسر ما يمكن أن نقدمه في حياتنا ويستمر خيره وأجره بعد مماتنا.
- إطلاق عدة ندوات تخصص الأمن المائي في كافة المجالات؛ لتصحيح الوعي المائي وتسديد ما هو أصوب في التعامل مع المياه؛ من خلال جهود الباحثين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثانية

الرؤية الائتمانية للثروة المائية ودلالاتها العمرانية
في ضوء السنة النبوية

د. بوعبيد عبد الصمد الأزهار

أستاذ بأكاديمية التربية والتكوين – المملكة المغربية

مقدمة

تعد مسألة حماية البيئة الطبيعية واستنزاف مواردها المائية من أهم القضايا والإشكالات الراهنة التي شغلت بال المهتمين والباحثين في الشأن البيئي؛ فتلكم المشكلات بأنواعها وألوانها كافة، تشكل تهديدًا حقيقيًا متناميًا للحياة الجماعية المشتركة لكل البشرية. ولذلك فقد أولت الشريعة الإسلامية عناية بالغة بالثروة المائية والاهتمام بحفظها؛ نظرًا لقيمتها، فكل الكائنات بحاجة إليها، فلا يمكن الاستغناء عنها، فهي سبيل حياتها ودوام استمرارها لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ شَيْئًا كُلَّ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

واعتبارًا لهذه الأهمية، فقد كان نبينا الكريم ﷺ على معرفة واعية وإدراك كبير - مُسَدِّداً بالوحي - بخطورة الاعتداء على البيئة وسوء استغلالها؛ فلم تكن تصرفاته ﷺ تأسيسًا وتنظيرًا فحسب، بقدر ما كانت ممارساته عملية وتطبيقات تشريعية من أجل ترسيخ قيم الانتفاع المشترك من المسخرات الطبيعية، وإلا، فإنَّ احتكارها من فرد أو جماعة دون آخرين، من شأنه أن يخلق اضطرابًا اجتماعيًا وقلقًا أمنيًا.

وتفاديًا لهذه الحالة النشاز؛ جاءت التوجيهات النبوية واضحة لهداية البشرية إلى مابه المحافظة على هذه الثروة والائتمان عليها، والإنسان وفق هذه التعليمات مُلزم بأن يراعي أمانة الحفظ والرعاية في علاقته بالمفردات البيئية، والثروة المائية خصوصًا؛ بوصف ذلك من مقتضيات خلافته واستخلافه في الأرض وعمارتها، على الوجه الصحيح والمشروع.

ونظرًا لأهمية التعريف بالمفهوم وأثره في ضبط الموضوع المراد دراسته، فقد تتبعت دلالة مفهوم «الائتمان»، في سياقاته التداولية في اللغة والشرع والاصطلاح؛ وخلصت إلى أن سياقات وروده تكاد تتفق إطلاقاتها وتتداخل

عند اللغويين، مع التداول الشرعي، والاصطلاحى، لتفيد معنى الحفظ والرعاية والوفاء بالأمانة المنوطة بالإنسان، والحرص على أدائها في أحسن وجه وأتمه، وتسخيرها لما فيه من المصلحة له ولل بشرية عامة؛ وهي القيم المعيارية الموجهة لسلوك الإنسان المعاصر، ودفعه للبحث عن مداخل البناء واستئناف الفعل الحضاري.

ولذلك، فالرؤية الائتمانية التي تسعى هذه الورقة إلى إبرازها تأصيلًا وتحصيلًا، هي تلكم المقاربة التي تجعل من منظومة القيم والأخلاق ضابطًا لسلوك الإنسان وموجهًا له في تعامله مع الثروة المائية، استثمارًا وانتفاعًا، بمنطق يراعي فعل الرشد والرفق والاعتدال.

إنَّ الناظر إلى الشريعة الإسلامية ورسالتها الإنسانية يكتشف أن نصوصها قد تظافت لإبراز رؤيتها الحضارية المتميزة تجاه المياه والمشكلات البيئية في العالم المعاصر، وأنها قدمت للبشرية حلولًا عملية رائدة من خلال السيرة النبوية، قابلة لأن تُعمَّم في وقتنا الراهن، بما تملكه من منظومة قيمية وإيمانية متكاملة صالحة لإحداث التغيير الإيجابي والتحول المطلوب في سلوكيات الإنسان عند اتباعها. لا سيما، وأنه المسؤول المباشر لكل ما يحدث في عالمنا اليوم، بتصرفاته غير السوية والمتوازنة تجاه البيئة واعتدائه المتزايدة عليها.

ولأجل ذلك، وضعت السنة النبوية ضوابط شرعية، وتدابير إجرائية لتوجّه الإنسان وتقوده بمنطق القوامه الحضارية إلى حسن استثمار هذه الموارد، وترشيد استهلاكها دون إتلاف أو إسراف، والتصرّف معها بنظرة اعتدالية، بما يخلق توازنًا في سلوكياته، وهي الفلسفة التي تدور حولها تعاليم الشرع الحكيم وتوجيهات النبي الكريم ﷺ في مراعاة مقاصد الشريعة في علاقة الإنسان بالكون والموارد الطبيعية، وتنزيلها بشكل يراعي مقصد العدل والقسط بين الخلق أجمعين في تدبير الثروة دون تبذيرها. ومن أهم هذه التدابير:

أولاً: الاعتدال والاقتصاد في استعمال الماء وترشيد استهلاكه بشكل عقلائي، أخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ»^(١)؛ فهذا السبق النبوي في تنبيه الإنسان إلى حسن التصرف مع الماء يحمل دلالة عمرانية عظيمة، تؤطر عملية تنظيم الانتفاع بالمياه وتجعله أكثر ائتمناً عليه. وإذا كان هذا حال النبي ﷺ وتعامله مع الماء، فالأحرى بنا أن نغير من سلوكياتنا في وقتنا المعاصر ونصحح نظرتنا نحو هذه الثروة، فهي المرفق الأهم من مرافق هذا الكون.

ثانياً: التحذير من التبذير والإسراف في استعمال الماء؛ حتى ولو كان من أجل الوضوء والطهارة. وقد وردت في السنة أحاديث كثيرة قدمت لنا صوراً مشرقة في التعامل مع الثروة المائية وعدم تجاوز الحد، ولو في الأوجه المشروعة، فالماء شرط للعبادة، ومع ذلك اعتبر التشريع النبوي تبذيره والزيادة عن الحاجة إليه ظلماً واعتداءً، يستوجب صاحبه العقاب.

ثالثاً: النهي عن تلويث المياه؛ حيث يُعدُّ التلوث من الأسباب المباشرة التي أدت إلى تدمير الموارد الطبيعية واستنزافها، بوصف ذلك سلوكاً غير حضاري؛ فالإنسان لما يقوم برمي النفايات والأوساخ، والقاذورات المختلفة في مياه المجاري العذبة، فإنه يسهم بشكل كبير في تلويث بيئي خطير، ما يفضي إلى تسمم وعفونة يعود ضررهما على الفرد والمجتمع.

رابعاً: الترغيب في فضل صدقة الماء، وسقيه لمن يحتاجه، والنهي عن بيعه: عدَّت السنة النبوية أن سقي الماء من أعظم الأبواب التي تُوصِل إلى الجنان وأفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى مولاه. وقد كان الصحابة والتابعون أكثر تنافساً في حفر الآبار وتوفير المياه رغبةً في الأجر والثواب. ونستحضر هنا مثلاً حياً يبين

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، «باب الوضوء بالمد» حديث رقم: ٢٠١، ومسلم في كتاب الحيض، «باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة»، حديث رقم: ٧٦٣.

قوة البذل والعطاء عند عثمان بن عفان رضي الله عنه حين اشترى بئر رومة، وتصدق بها. وبالمقابل، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من منع الماء على الناس وحرمانهم منه، بوصفه حقاً مُشاعاً بين الجميع، لما روي عن أبي المنهال أنه سمع إياس بن عبد المزني قال: «لَا تَبِيعُوا الْمَاءَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ»^(١).

وتأسيساً على ما سبق، ومراعاة لما جاءت به السنة النبوية من ترهيب وترغيب في الحفاظ على الماء، تتضح معالم الرؤية الائتمانية للثروة المائية في الفكر النبوي من مختلف الملوثات، ومن كل مصادر الاعتداءات، فإنه من الواجب استحضار هذه التعاليم الشرعية والالتزام بها في حياتنا؛ أننا نضمن بها تواجد هذه الثروة وعدم نفادها، والانتفاع بها على وجه الدوام.

لقد تعددت المقتضيات العمرانية والأبعاد الاستخلافية للائتمان على الثروة المائية في السنة النبوية، وتراوحت ما بين الفعل التعبدي، وإعادة الاعتبار لمركزية قيم الوفاء بالأمانة في ضبط علاقة الإنسان بالكون والطبيعة، وتحقيق معاني الاستخلاف والتعمير، وحسن التدبير والتسخير؛ فلو حصل للإنسان علم بمقاصد الشرع، وما جاءت به السنة من توجيهات لأدرك حقيقة مبررات تلك الدعوة إلى رعاية هذه الثروة، ولما أمكنه تذييرها ولاقتصد في استعمالها. ومن هذه المقتضيات نذكر:

أولاً: المقتضى الإيماني التعبدي: أساسه الانتظام لتعاليم شريعة الإسلام: الإنسان هو الكائن الأول والمباشر الذي يقع على عاتقه حسن استثمار الثروة المائية، والعناية بها من منطلق إيماني، فيعتقد بأن الله هو الذي سخر له كل ما في الكون من موارد وأمره بحسن الانتفاع منها، سعيًا لعبادته وتحقيقًا لخلافته، وبإيلاء العبد العناية المستحقة لهذه الثروة؛ يكون قد حقق جزءاً من عبوديته لخالقه، ولذلك فقد حرصت التشريعات النبوية في كل مراحل الدعوة على بناء

١- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الإجارة، «باب في فضل بيع الماء»، الحديث رقم: ٣٤٧٨، ٣/ ٢٧٨.

الإنسان وربطه بالوازع الديني، وطالبت منه أن يتعامل مع الموارد المائية مُعاملةً الرفق والرحمة والإحسان، ورتبت على الإخلال بهذا الواجب عقوبات صارمة، حتى تستقيم حياته، ويستمر وجوده .

ثانيًا: المقتضى المعياري؛ أساسه مركزية القيم ودور الأخلاق الضابطة للتعامل مع الموارد المائية؛ فالحاجة اليوم ماسة إلى إعادة الاعتبار للقيم والأخلاق الضابطة لسلوك الإنسان في علاقته بالمفردات البيئية ومكوناتها المختلفة، وجعلها معيارًا للفعل الاستخلافي بعد انحسارها في الوقت الراهن، ومن أجل هذه القيم؛ الوفاء بالأمانة، إذ أصبحت -للأسف- عملة نادرة التداول بين الناس في زماننا المعاصر، فترسيخ هذه القيمة في المجتمعات المعاصرة من شأنه أن يخلق وعيًا جماعيًا بالتحديات البيئية والعمل على إيجاد سبل حلها، ويسهم في تعديل سلوكيات الأفراد والمجتمعات نحو البيئة عمومًا، والمياه خاصةً، بما يُقلل جزءًا من المخاطر البيئية، ويعمل على المحافظة على الثروة المائية الصالحة لحياة الأجيال القادمة .

ثالثًا: المقتضى العمراني؛ أساسه تحقيق أمانة الاستخلاف والتعمير الحضاري: تنبثق نظرة الشريعة الإسلامية للإنسان وعلاقته بالكون والحياة، من معارف الوحي ومقرراته، التي تنص على أنه المستخلف في الأرض بما يملك من مقدرات علمية ومدركات عقلية، يقع على كاهله واجب الحفظ والرعاية للثروة المائية، ما يقتضي منه أن يهتدي إلى مداخل الغيِّ والابتعاد عنها، والبحث عن مسالك الرُّشد واتباعها، بما يجعله أكثر اقتداءً بالأفعال الإلهية، والتوجيهات النبوية في سعيه إلى حسن التعامل مع مفردات البيئة، رفقًا وإحسانًا وتعميرًا، وتجنُّب التصرف معها على غير ما أمر الله به ونهى، حتى لا ينحرف عن المقصد الشرعي من خلافته؛ فيفسد في الأرض ويدمرها .

رابعاً: المقتضى التسخيري: أساسه الانتفاع بالموارد المائية وحسن تسخيرها: تُعدُّ دائرة تسخير الموارد المائية واحدةً من أجلِّ دوائر التسخير للإنسان في هذا الكون لارتباطها بحياة الأرض وكل من عليها؛ فإذا كانت هذه الموارد قد تم تسخيرها للإنسان لأداء واجب الاستخلاف، فإنه مُطالب بأن «ينتفع بها في حدود ما يلبي حاجته الحقيقية دون أن يتصرف إزاءها تصرفاً استهلاكياً يزيد عن حاجته؛ فإذا أسرف في الاستهلاك منها سيُعجّل ذلك بإنضابها، ما يكون له الأثر السيئ على التوازن البيئي من جهة، وعلى التناسب بين تلك الموارد وأجيال البشرية المتعاقبة من جهة أخرى»^(١). ما يعني أن سلامة هذه الموارد المشتركة تعني سلامتهم، وممارسة مطلق التصرف عليها، استنزافاً وفساداً، سيعرضهم جميعاً للدمار، بدل الأمن والاستقرار.

وتأسيساً على تلكم المقتضيات السالفة الذكر -مجتمعةً، تتحقق القوامة الكونية للإنسان، وتنضبط سلوكياته بما يحقق الاعتدال والتوسط في الاستغلال لكل الموارد الطبيعية والمحافظة عليها من الاستنزاف؛ ومن ثمة كان الاعتدال في استهلاك المياه قاعدةً شرعيةً مُلزِمةً للجميع؛ فهدر الماء مرفوض شرعاً حتى ولو توفر بكميات كبيرة وزائدة عن حاجة الأفراد. فإذا تعرّض هذا العنصر الحيوي لشيءٍ من التدمير والاستنزاف، ستضطرب حياته حتماً، وستصبح إمكانية استقراره وأمنه وبقائه ضعيفة، وكلما أحسن التعامل معها وأدرك مداخل الائتمان عليها، ضمن استمرار سير كل الموجودات نحو الغاية والمسار الذي رسمه الحق سبحانه وتعالى لها، دون انحراف ولا انجراف.

وخاتمة القول:

فإنَّ الموارد البيئية في شريعة الإسلام قد حظيت باهتمام بالغ، ففيها أودع الله تعالى كلَّ مقومات الحياة للإنسان ولكل الكائنات؛ إذ نصَّت السنة النبوية على

١- فقه التخصر الإسلامي، د. عبد المجيد عمر النجار، ص ١٦٥ بتصرف.

جملة من المبادئ والتشريعات التي تضبط علاقة الإنسان ببيئته لتتحقق من خلالها العلاقة السوية والمتوازنة التي تصون الثروة المائية، وتساعد على أداء أدواره الاستخلافية بعمارة الأرض وحسن استثمارها؛ ما يجعل فعله أكثر انسجاماً مع تعاليم الوحي واهتداءً بها، كفيلاً ما تضمنته المرويات القولية والممارسات العملية عن رسول الله ﷺ فيما يتعلق بتشريع وجوب تحقيق أمانة الحفظ والرعاية للموارد المائية، كفيلاً بتوجيه الإنسان المسلم إلى مداخل الرشد في علاقته بالبيئة الطبيعية، انتفاعاً واستثماراً، وكفيل - أيضاً - بالتأسيس لثقافة ائتمانية جماعية للمجتمعات المعاصرة، تسخيراً وتعميراً، وذلك بدفع أفراد هذه المجتمعات إلى العمل على حسن تنزيل مقرراتها الشرعية وتَعَقُّلِ تَبَعَاتِهَا الحضارية.

ومن الخلاصات الأساسية التي تحصلت لي في هذه الدراسة:

- أن المحافظة على الثروة المائية مقصد شرعي وضرورة حضارية، على الجميع أن يحسن استعمالها بشكل مثمر، ومنضبط للمنهج النبوي.
- أن التشريع النبوي كان له السبق في الحرص على حفظ الماء وصيانه من الندرة والاستنزاف، قبل كل القوانين الوضعية والتدابير الحكومية، ونداءات الجمعيات المدنية.
- فهم الرؤية النبوية والعمل بها من أجل الحفاظ على الثروة المائية، بإمكانه أن يُغيّر سلوكنا ويرتقي بأخلاقنا، ويُؤسس لعمل تعاوني يدفع الجميع إلى الانخراط الإيجابي في الائتمان على مرافقها.
- مسلك الوسطية والاعتدال من أنجع الطرق التي شرعها الله تعالى لعباده في كل الأحوال، ضماناً لحماية التوازن البيئي فيما يتعلق بالماء وغيره من الموارد الطبيعية.

ومن التوصيات:

- إدراج مساق التربية البيئية ضمن المواد المدرّسة في المؤسسات التعليمية، لتمتلك الأجيال ثقافة الائتمان على الموارد المائية، والقناعة بأنها مصدر بقاء النوع البشري واستمرار نسله.
 - العمل على نشر الوعي البيئي في صفوف عامة الناس وخاصتهم، سواء من خلال المنابر الإعلامية أو الخطب المنبرية، ليرتفع منسوب ثقافة الائتمان، بالموارد الطبيعية والمائية في المجتمعات المعاصرة.
 - تشجيع جمعيات المجتمع المدني، للانخراط في التعبئة الجماعية والتنافس في مبادرات تُسهم في الحفاظ على الثروة المائية.
 - المطلوب من الأمة -اليوم- الاستثمار في الثروة المائية، والسعي بكل إمكانياتها، تحقيقاً لأمنها المائي.
- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثانية

صلة الأمن المائي بمقصد حفظ النفس:
دراسة في ضوء الهدى النبوي الشريف وتطبيقاته
في دولة الإمارات العربية المتحدة

د. كلثم عمر عبيد الماجد المهيري

أستاذ مساعد في قسم دراسات العالم الإسلامي - جامعة زايد - دبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَآلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ
يُحْسِنُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد، ،

أبدأ بتوجيه شكرى وتقديرى وامتنانى إلى معالي جمعة الماجد المؤقر، حفظه
الله تعالى ورعاه، وأنعم عليه بمنه وفضله وكرمه. والشكرُ موصول إلى جميع
القائمين على هذا المؤتمر، سعادة الدكتور / حمزة المليباري حفظه الله تعالى،
وكل من تفضل بتنظيم أعمال المؤتمر. فجزاهم الله تعالى خيراً وبارك فيهم.

ويُسعدني أن أبدأ في عرض ملخص بحثي الموسوم بـ «صلة الأمن المائي
بمقصد حفظ النفس؛ دراسة في ضوء الهدى النبوي الشريف ومقاصد الشريعة». وقد
حوى هذا البحث مقدمةً وثلاثة مباحث، وخاتمة.

وللحديث عن صلة الأمن المائي بمقصد حفظ النفس في السنة النبوية، ينبغي
الاهتمام بعدد من الموضوعات: هل حوت السنة النبوية هدياً وإرشادات ذات
صلة بالأمن المائي؟ وهل وجّهت إلى العناية بهذا الجانب؟ وما هي أبعاد الاهتمام
النبوي بالأمن المائي، انطلاقاً منه لحفظ النفس ورعايتها؟ وفي هذا الإطار يردُّ
سؤال آخر هو: ما مدى التزام قيادة دولة الإمارات بالهدى النبوي في تحقيق
الأمن المائي ورعاية الإنسان؟

هذه التساؤلات أجاب عنها البحث؛ فوضح العديد من الأحاديث النبوية
التي تنوعت موضوعاتها؛ فشملت الآتي:

أولاً: الهدى النبوي في وجوب تحقيق المنفعة المشتركة في المياه العامة التي
تتوافر لعموم البشر؛ فلا يملك أحدهم احتكارها أو السيطرة عليها؛ مثل: مياه الأنهار
والعيون والأودية، التي لا صنع للآدميين في إجرائها؛ وقد تأكّد ذلك في قوله صلى

الله عليه وسلّم «المسلمون شركاءُ في ثلاث؛ الماء والكلاء والنار». أخرجه أبو داود وابن أبي شيبة وأحمد والنسائي، ورجاله ثقات. وفي هذا الهدى تتضح العدالة المرتبطة بالمصالح الإنسانية ارتباطاً وثيقاً، وفي ظلّها يتحقق حفظ النفس بلا شك.

وبالنظر إلى مظاهر التزام قيادة دولة الإمارات بالهدى النبوي المتعلق بالشراكة في الماء؛ فيُلحظ الاهتمام بالموارد المائية؛ إذ تُعنى الدولة بالحفاظ على منابع العيون وبناء السدود، والعمل على تنقيتها وإيصالها إلى جميع السُّكَّان. إضافة إلى ما تبذله من جهود ضخمة في تحلية مياه البحر؛ حيث يتوافر في الدولة ما يزيد عن سبعين محطة تحلية.

ثانياً: الهدى النبويُّ في الحث على وقف الماء، وهو هديٌّ شاملٌ لكافة المخلوقات، ليس قاصراً على الإنسان فحسب، وإن كان الإنسان هو المقدم في ذلك. وتجلّى في هذا الإطار موقفٌ عظيمٌ لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم في حثّه على حفر بئر رومة ووقفها؛ هذه البئر التي لم يتيسّر لعموم ساكني المدينة الاستفادة منها من قبل؛ فامتثل لذلك الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه؛ فصارت رومة ماءً غدقاً يرتادها سُكَّان المدينة ويسقون منها نخيلهم، وإلى الآن.

ومعلومٌ أنّ أوقاف المياه لا زال معمولاً بها في كافة أنحاء العالم والله الحمد، وبالنظر إلى ما تبذله قيادات دولة الإمارات في هذا الإطار، توجد العديد من المبادرات الضخمة، التي عادت بالنفع على الكثير من أبناء العالم؛ فقد تبنت مبادرة الشيخ محمد بن راشد «سُقيا الأمل» مشاركة واحد وعشرين مؤسسة في الدولة، بهدف حفر مائة وخمسين بئراً لتوفير آلاف الليترات من المياه النظيفة حول العالم، لتلبية احتياجات أكثر من مليون شخص، وذلك فضلاً عما تقوم به المؤسسات الخيرية، مثل: الهلال الأحمر وغيرها من جمع التبرّعات لحفر الآبار في دول إفريقيا وشرق آسيا وغيرها.

ثالثاً: الهدى النبوي في التصدق بالمياه وتخصيص الأقارب؛ مثال ذلك أبو طلحة رضي الله تعالى عنه عندما بادر برغبته في التصدق ببيرحاء، وهو ماء ونخل له، وكان أحب أمواله إليه، لكنه أراد برّها وذخرها؛ فأرشدته رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من يجعل صدقته فيهم، وهم أقاربه. أخرج البخاري هذه الرواية في صحيحه.

وقد يتبادر للذهن أن الصدقة هنا اقتصر على الأقارب فقط، وفي الواقع أنها اقتصر عليهم أولاً، ولكن في ذلك من البر ما يعود على غيرهم أيضاً، لأن كل واحد من أقاربه سيجعل ذلك الماء منفعةً لنفسه وأهله وأقاربه ومعارفه؛ فهذا مؤداه، وهذه بركته؛ وعليه، فصدقة الماء تُعم بالخير أيضاً، مثل: الوقف.

ومن هذا المنطلق تُعنى سقيا الإمارات أيضاً بتوجيهات من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بجميع الأساليب المساعدة على توفير المياه في كافة أنحاء العالم؛ لإيجاد حلول دائمة وجذرية لمشكلة شح المياه، بتقنيات عديدة، مثل: تحلية المياه وتنقية ما تلوث منها، وتلبية الاحتياجات المستمرة إلى الماء.

رابعاً: الهدى النبوي في النهي عن احتكار فضل الماء ومنعه؛ فقد جاء في ذلك وعيد شديد؛ قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم..» وذكر منهم: رجل على فضل ماء بطريق يمنع منه ابن السبيل. متفق عليه. وفي هذا الإرشاد النبوي يتضح مقصد حفظ النفس بصورة جليّة؛ لأن من كان لديه فضل ماء بطريق، فلن يلجأ إليه إلا من أعوزته الحاجة إليه، أو من أوشك على الهلاك بسبب العطش. ولم يقتصر التحذير والوعيد في هذا الشأن بزمان محدد؛ لأن حاجة الإنسانية للماء مستمرة، ووجود أبناء السبيل مستمر أيضاً، ولا سيما في البلدان الفقيرة التي لا تتمتع بتوافر المياه في طرُقها وقراها.

خامسًا: الهدى النبويُّ الوارد في أبعادٍ أخرى، وهي التدابير الوقائية الفاعلة في تحقيق الأمن المائي؛ ففي هذا الجانب وردت أحاديثٌ عدّة تنهى عن الإسراف في الماء وغيره، وتنهى عن جميع الأسباب المؤدية إلى تلوث الماء أو سوء استعماله، ومن ذلك أيضًا ما حواه الهدى النبويُّ من إرشادات وردت في تغطية الإناء، وهذا بلا شك هديٌّ في غاية الدقّة، في العناية بالقليل من الماء؛ فكيف بالكثير؟!

وتبلغ العناية النبوية بالمياه إلى حماية ما حولها، مثل: البئر؛ ففي الهدى النبوي يُصان ما حوله أيضًا، وهو ما يُسمّى بحريم الماء، وهو مساحة حول البئر مُخصّصة له، ويُنهى عن حفرها وإن كان ذلك بقصد إحياء ما حولها؛ والسبب ألاّ تتضرّر البئر بما قد يرُدّها من آثار الحفر وغيره من الأعمال. والغاية في ذلك حفظ معادن الإبل التي ترتوي منها. وهو هدي عظيم تجاوز معاني حفظ النفس الإنسانية إلى معاني حفظ النفس عمومًا؛ روى ابن ماجة في سننه حديثًا مُرسلًا عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «مَنْ حَفَرَ بئرًا فَلَهُ أَرْبَعُونَ ذراعًا عَطَنًا لماشيتَه». أخرج ابن ماجة والطبراني والحاكم.

هذه مجموعة من معالم الهدى النبوي في تحقيق الأمن المائي رعايةً للنفس وحفظًا لها، وقد خلّصت الدراسة إلى عدد من النتائج على النحو الآتي:

١- أن الأمن المائي له علاقة وثيقة بمقصد حفظ النفس، وأكّدته السنّة النبويّة بما حوته من الترغيب والترهيب والتشريعات والتدابير الوقائية وغيرها.

٢- أقرّت السنّة النبويّة مبدأ الشراكة في الماء.

٣- حوت السنّة النبوية التدابير الوقائية للتصدي لمهددات الأمن المائي، بالتحذير من الممارسات السلبية في هدر الماء أو منعه عن ذوي الحاجة.

٤- تجلّى في التدابير العامة المتنوّعة في دولة الإمارات وعلى المستويين المحلي والعالمي، أن قيادات الدولة تحلّت بالاقتداء بالمنهج النبوي في العديد من

مظاهر العناية بالمياه ومصادرها وتيسير إيصالها لمجتمع الإمارات من جهة،
ومجتمعات أخرى في كافة أنحاء العالم .

هذا، والله الفضل والحمد والمنة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثانية

ضمان استدامة موارد المياه في ظل التوجهات النبوية
(دراسة تطبيقية على إستراتيجية الأمن المائي
لدولة الإمارات ٢٠٣٦م)

أ. راشد سعيد عبد الله الظهوري

ماجستير في التفسير والحديث من جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
مدرس تربية إسلامية في دائرة التعليم والمعرفة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

خلق الله عز وجل الكون وأودع فيه خزائن رزقه، واستخلف ابن آدم فيه؛ لينظر صنعه ويبلو فعله، ونهاه عن الإفساد فيه؛ لئلا يعود إفساده على خزائن الأرض بالاستنزاف.

هذا ويعد الماء أحد ثروات الكون وعصب الحياة على مر العصور، إذ لا غنى للبشرية عنه بحال من الأحوال؛ ولهذا امتن الله تعالى على عباده بهذه النعمة في الذكر الحكيم، وكذلك اعتنى النبي - صلى الله عليه وسلم - ببيان أهميته من خلال توجيهاته لصحابته الكرام.

وتمثل هذه الورقة البحثية محاولة لاستنطاق نصوص السنة المباركة للخروج ببعض الحلول التي تعزز التعامل بفعالية مع هذا المورد من خلال توظيف سلسلة من الإستراتيجيات التي تصب في مصلحة الحفاظ عليه، والتوظيف الأمثل له.

وقد تنبّهت دولة الإمارات العربية المتحدة ممثلة بحكومتها ومجلس وزرائها الموقر لأهمية هذا المورد بوصفه أحد أسس الأمن العام، فرسمت سياسة واضحة المعالم من خلال وضع إستراتيجية الأمن المائي لدولة الإمارات ٢٠٣٦م في ظل وزارة الطاقة والصناعة في سبتمبر ٢٠١٧م، وقد تضمنت هذه الإستراتيجية جملة من المحاور التي تتقاطع والإرشادات النبوية في هذا السياق.

وسيعمد الباحث في هذه الورقة إلى نصوص السنة ممثلة بالصحيحين للخروج بصورة عن الإجراءات النبوية في سبيل الحفاظ على استدامة موارد المياه، مستتبّعاً ذلك بذكر ما يقابل هذه الإجراءات من الإستراتيجيات الواردة في الخطة الإماراتية؛ وصولاً إلى تأصيل هذه الإستراتيجيات من ناحية السنة النبوية،

لتمثل هذه الخطوة عنصر التجديد في هذه الورقة البحثية.

ولا بد من الإشارة ابتداءً إلى تعريف الاستدامة، وذكر أبرز دعائمها، حيث تعرف بأنها: «الاستدامة هي: التنمية التي تستجيب لاحتياجات الوضع الراهن، مع الأخذ في الحسبان الاحتياجات المطلوبة من أجيال المستقبل؛ لتأمين متطلباتها»^(١).

والملاحظ على التعريف المتقدم الذي ينقله الباحث عن تقرير للأمم المتحدة الموازنة بين متطلبات الوضع الراهن، مع استشراف المستقبل، بحيث لا يضر أحدهما بالآخر، وهذا ما ينصوي تحت التخطيط الإستراتيجي: الذي ينبنى على ركيزتين اثنتين، وهما: الخبرة الإدارية، والتطبيق الفعال. حيث سيمثلان من وجهة نظر الباحث أبرز ركائز الاستدامة، وستنبنى الإجراءات التي سترد عليهما.

هذا وقد ورد ذكر بعض ملامح الاستدامة بركيزتيها المتقدمتين في السنة النبوية، إذ جاء في الحديث عن سعد - رضي الله عنه - عندما عاده النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرضه، فاستشاره في شأن ماله وما يترك منه لبيته: «إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»^(٢)، والحديث وإن ورد في شأن الأسرة، فهو ينطبق على كل من ولي أمرًا من الأمور العامة أو الخاصة، إذ لا بد له من توظيف الخبرة الإدارية لتستقيم شؤون المؤسسة التي وليها؛ ولكي تستمر على نسق منظم، حتى بعد غيابه، كما يفهم من الحديث أيضًا الحرص على المستقبل، فهو حاضر في ذهن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومؤثر في القرارات التي يتخذها، والاستدامة - كما هو معلوم - تتوخى المستقبل، وتراعي حق الأجيال القادمة بالثروات التي تتمتع بها الدولة، كما أن في الحديث أيضا إشارة إلى أن الموارد والثروات يجب أن تدار بشكلٍ مدروسٍ ومنظمٍ؛ بحيث تتحقق الاستفادة القصوى منها.

١ - عبدالله آل الشيخ، الاستدامة: التحديات والفرص، ١١.

٢ - أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ومرثيتهم لمن مات بمكة، ٥ / ٦٨.

ومن الأمثلة التي يمكن إيرادها في هذا السياق لبيان ما للخبرة من أثرٍ فعالٍ في إدارة الثروة المائية، والتقليل من الهدر فيها، ما ذكره بعض العلماء من ضرورة التعامل مع الزراعة التي تمثل إحدى المجالات الرئيسة لاستهلاك الثروة المائية بشكلٍ خاص؛ حيث ذكر أنه لا ينبغي التعامل مع الحاجة الزراعية للثروة المائية بنسقٍ واحدٍ، بل لا بد من مراعاة عدة أمورٍ للوصول إلى أفضل الممارسات، وذكر منها:

- النظر في طبيعة الأرض.
- النظر في حاجة النباتات المختلفة، فمنها ما يكفي باليسير، فلا حاجة للهدر في حقه.
- النظر في تداول الفصول، فإن حاجة الزراعة في الصيف لا تماثل حاجتها إليه في الشتاء^(١).

وأما الركيذة الثانية: فقد جاءت الإشارة إليها في حديث النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا»^(٢).

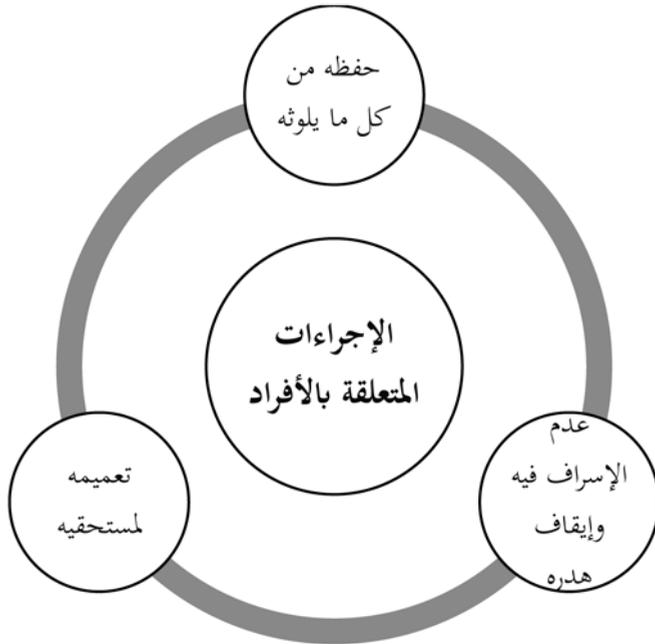
والمثال النبوي وإن ورد في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فسياقه يدل على الركيذة الثانية للتخطيط الإستراتيجي، ألا وهي التطبيق الفعال؛ لأن التطبيق يمثل الجانب العملي للفكرة المراد تنفيذها، وقد تكون الفكرة صالحة وفعالة، إلا أن الخلل قد يعرض في إجراءات تنزيلها على أرض الواقع، ففي المثال

١- ينظر: (الماوردي، الأحكام السلطانية، ٢٦٩).

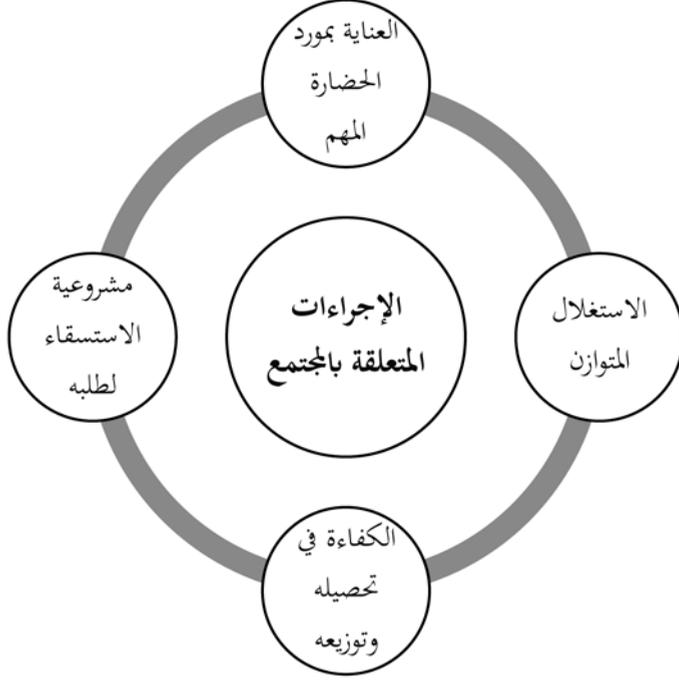
٢- أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ٣/ ١٩٣.

النبوي أن أرباب الطابق السفلي قصدوا كف الأذى عمن فوقهم بسبب دوام ترددهم عليهم، فأرادوا الوصول إلى الماء مباشرةً بإحداث خرقٍ في ناحيتهم؛ مما سيتسبب إلحاق الضرر بالجميع . والحديث أيضاً فيه اتصال بناحية من نواحي البحث الأخرى، وهي: أنه لا بد للإجراءات المتخذة في سبيل الاستدامة من عدم إلحاق الضرر بالآخرين، وهذا ما يمكن تطبيقه اليوم على الكيانات الكبرى، والدول التي تشترك في بعض الموارد المائية كالأنهار العابرة للحدود والبحار المشتركة.

وبعد الحديث عن التعريف والدعائم لا بد من ذكر أبرز الملامح الواردة في السنة النبوية عن حفظ الموارد المائية، حيث تنقسم على قسمين: فمنها ما يخاطب به الأفراد ومنها وما يخاطب به المجتمع، فأما الأفراد:



وأما ما يخاطب به المجتمع فيمكن إيجازه فيما يأتي:



وختاماً مع الدراسة التطبيقية: حيث رسمت حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة ممثلةً بمجلس الوزراء إستراتيجيتها المتعلقة بالأمن المائي ضمن إطار زمنيٍّ يغطي قرابة العقدين من الزمان، حيث كشفت وزارة الطاقة والصناعة عن هذه الإستراتيجية في سنة ٢٠١٧م^(١)، واستهدفت العام ٢٠٣٦م سقفاً زمنياً لها، وهي ترمي إلى هدفٍ محوري هو: ضمان استدامة واستمرارية الوصول إلى المياه خلال الظروف الطبيعية، وظروف الطوارئ القصوى، وقد رصدتُ جملةً من الإجراءات لإنجاح هذه الإستراتيجية وهي:

١- انظر البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة: <https://u.ae/ar-ae/about-the-uae/strategies-initiatives-and-awards/federal-governments-strategies-and-plans/the-uae-water-security-strategy-2036>

١ - خفض متوسط استهلاك الفرد إلى النصف.

٢ - التركيز على ترسيخ الممارسات المستدامة.

٣ - تطوير غطاء إمدادٍ مائيٍّ يحافظ على سعة تخزين المياه وفقاً لمختلف الحالات. والناظر في السنة النبوية من ناحية، والإستراتيجية الإماراتية للأمن المائي يلحظ عدة أمور:

أولاً: يلحظ من الإستراتيجية الإماراتية التركيز على مبدأ الأمن المائي، حيث يعد الهدف المحوري للخطة، وبقية الإجراءات تتفرع عنه، وهو ما كان حاضراً أيضاً في التوجيهات النبوية وإن بصورة مبدئية تتناسب والعصر النبوي، حيث كان النبي - صلى الله عليه وسلم - حريصاً على أن يحصل الجميع على حصة مناسبة من المياه التي تكفيه، وتكفي ما يقوم على رعايته سواءً من الحرث أو الماشية، وذلك واضحٌ في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - يرفعه: «لَا يَمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيَمْنَعَ بِهِ فَضْلُ الْكَلَالِ»^(١)، وفي قصة الأنصاري مع ابن الزبير - رضي الله عنهما -.

ثانياً: عمدت الإستراتيجية الإماراتية إلى الفرد أيضاً في إجراءاتها الفرعية، وذلك بالنص على سعيها لخفض متوسط استهلاكه للنصف، وذلك على اعتبار أنه هو العنصر الفاعل والمؤثر في إنجاح هذه الإستراتيجية، فمن خلال غرس الوعي في المواطن والمقيم - على السواء - ستكون الإستراتيجية في بداية سلم النجاح؛ فالوعي المجتمعي من أكثر الدعائم لإنجاح مساعي الدول المتحضرة، وهذا ما أكدت عليه السنة النبوية؛ إذ حض النبي - صلى الله عليه وسلم - في أكثر من موضع على الدور الذي ينبغي للمسلم أن يسهم فيه حفاظاً على هذا المورد المهم.

١ - تقدم تخريجه.

ثالثاً: نصت الإستراتيجية المائية الإماراتية على مبدأ مهم ألا وهو ترسيخ الممارسات المستدامة، وقد تقدم ذكر أبرز دعائم الاستدامة استناداً إلى إشارات من السنة النبوية، وهما: الخبرة الإدارية والتطبيق الفعال، والدعامة الأولى منهما راجعةٌ إلى الجهة الحكومية والوزارة المعنية التي تعني بانتقاء أفضل الخبرات، والتي توظف بدورها أحدث ما توصلت إليه المعرفة العلمية في سياق الحفاظ على هذه الثروة.

وأما الدعامة الثانية: وهي التطبيق الفعال فهي واضحة المعالم في الإستراتيجية؛ حيث إنها تسعى إلى تطوير نظام إمداد مائيٍّ يساعد على الحفاظ على سعة تخزينية مناسبة لشتى الظروف، وذلك من خلال تفعيل آلية للربط الشبكي المائي بين هيئات الكهرباء والمياه، وتوزيعها على مختلف مناطق الدولة، وذلك تبعاً للحالة المعلنة.

والحاصل من النقاط الثلاثة المتقدمة أن هناك تعاطياً إيجابياً بين التوجيهات النبوية من ناحية وبين الإستراتيجية الإماراتية للأمن المائي، ونقاط التلاقي بينها متعددة، وهذا ما يدل على أصالة الممارسات المائية التي أوصى بها النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته؛ إذ إن أثرها الفعال لم ينقض عند الصدر الأول، بل امتد إلى الوقت الراهن، وهذا ما يحتم على المواطنين والقاطنين في هذه البلدة المباركة السعي الحثيث من قبلهم إلى إنجاح مساعي الدولة في هذا السياق.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثالثة

ترشيد استهلاك الماء وحمايته من التلوث
في ضوء السنة النبوية

أ. د. مفرح بن سليمان القوسي

أستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

الماء من أوائل المخلوقات التي خلقها الله ﷻ في هذه الحياة، وقد حظي في شريعة الإسلام بمكانة كبيرة قلما يحظى بها سائل آخر من السوائل التي خلقها الله، كما أن للماء أهمية بالغة في حياة كل كائن حي في هذا الكون، إنساناً كان أم حيواناً أم طيراً أم نباتاً أم غير ذلك، على سطح الأرض وباطنها وفي أعماق البحار والمحيطات، فهو مصدر حياتها وبه قوام وجودها، وقد أخبر الله ﷻ أنه يحيي بالماء الأرض بعد موتها، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ وَهُوَ تَعَالَى يُخْرِجُ بِهِ الزَّرْعَ بِأَنْوَاعِهِ وَأَلْوَانِهِ وَأَشْكَالِهِ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ ۝﴾ .

وكان الماء آخر شيء حضوراً مع رسول الله ﷺ، فقد صح عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تقول: إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ)، ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى)، حتى قبض ومالت يده. وكان ﷺ يأمر بالتداوي من الحمى بالماء البارد، فقد صح عنه أنه قال: (الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ).

ويتبوأ الماء مكان الصدارة من النعم التي يسأل عنها العبد يوم القيامة، وهو من النعيم المقصود في قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۗ ۝﴾، وقد كان رسول الله ﷺ حفيظاً بنعم الله يعظمها ويشكرها، وما أكثر الدعوات التي كان يدعو بها رسول الله ﷺ حين يفرغ من طعامه إذا طعم وشرا به إذا شرب، ومن ذلك على سبيل المثال: أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَأَوَانَا).

والتطهر بالماء شرط أساس في أداء كثير من العبادات في شريعة الإسلام، فالصلاة عمود الإسلام - مثلاً - لا تصح بكل أنواعها إلا بالتطهر بالماء من الحدث الأكبر بالغسل ومن الحدث الأصغر بالوضوء.

ونظراً للأهمية البالغة للماء عُنيت السنة النبوية بالماء واهتمت به اهتماماً بالغاً،
فبينت أحكامه وضوابط استخدامه، ومنهج التعامل معه بحسب حالاته المختلفة،
وبحسب احتياجات الإنسان إليه.

وسأسلط الضوء على بعض مظاهر هذه العناية وذلك الاهتمام، من خلال
دراسة ما ورد في السنة النبوية من أحاديث صحيحة حول مسألتين اثنتين هما:
ترشيد استهلاك الماء، وحمايته من التلوث.

المسألة الأولى - ترشيد استهلاك الماء في ضوء السنة النبوية:

استنزاف الموارد المائية والإسراف في استخدامها يُعد من أخطر القضايا
البيئية المعاصرة، ولذا يؤكد علماء البيئة في العالم بأسره على وجوب الحفاظ
على الماء والاقتصاد فيه، وعلى أهمية ذلك لتحقيق حاجات المجتمعات البشرية
واستمرار حياتها.

ولقد تعددت النماذج التربوية في السنة النبوية الشريفة التي تهدف إلى
الحفاظ على الموارد البيئية وخاصة الماء، والدعوة المتكررة من خلال القدوة
والتوجيه النبوي للحفاظ على الماء وترشيد استهلاكه.

والناظر في الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ فيما يخص الترشيد في استهلاك
الماء يجد أنها تركز على أمرين مهمين:

أحدهما: ترشيد استهلاك الماء في الاستخدامات والاستعمالات البشرية
كافة، ولاسيما الاقتصاد في الشرب، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ
حُدُوءَ زَيْتَكُمُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، فقد صح
عنه ﷺ أنه قال: (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا، وَابْسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ
مَخِيلَةٌ).

الثاني: الترشيح والاعتدال في الوضوء والطهارة للعبادات، وقد ورد في هذا الأمر العديد من الأحاديث النبوية، منها: ما روي (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرْفُ؟، فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟، قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ). وما روي أنه: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ عَنِ الْوُضُوءِ فَأَرَاهُ الْوُضُوءَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ).

ولم يكتفِ النبي ﷺ بتربية أصحابه - رضي الله عنهم - على الاقتصاد في الماء واجتناب الإسراف في استعماله في الوضوء والغسل، بل طبَّق هذا المبدأ الإسلامي على نفسه وعلى أهل بيته، ليكون القدوة والأسوة الحسنة والمثل الأعلى لأُمَّته في ذلك، فقد روى الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - (أنها كانت تغتسل هي والنبي ﷺ من إناء واحد يسع ثلاثة أمداد أو قريباً من ذلك)، وروي عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْتَسِلُ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ). والمد: ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما.

ونستنبط من كل ما تقدم من أحاديث نبوية أحكاماً وأدباً جليلاً وحقائق مهمة، تتمثل فيما يأتي:

أولاً: تميز النهج النبوي بالتوسط والاعتدال في استعمال الماء في الوضوء والغسل والطهارة، من حيث الجمع بين اجتناب الإسراف في استعمال الماء في الوضوء، والحث على إسباغ الوضوء، حيث صح عنه ﷺ أنه قال: (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ)، فإسباغ الوضوء لا يعني السرف في استعمال الماء فيه. والتقليل منه مع إحكام الوضوء حكمة نبوية كريمة.

ثانياً: اشتمال السنة النبوية على قيم حضارية مهمة كثيرة؛ منها مما يعيننا في هذا المقام: الحفاظ على الثروة المائية وكفالة الأمن المائي، التي تُعدُّ عاملاً أساساً في قيام الحضارات الإنسانية، وضرورة ملحّة لا تقوم حياة جميع الكائنات الحية إلا به، ذلك أن الاقتداء بالرسول الكريم ﷺ في حسن استخدام الماء في كل مجالات الحياة يُوفّر - حتماً - مليارات اللترات من الماء العذب النقي يومياً لملايين الأشخاص في العالم على وجه الكرة الأرضية.

ثالثاً: نظرة السنة النبوية إلى ترشيد الاستهلاك والمحافظة على الموارد المائية هي نظرة حضارية طويلة الأمد، تشتمل على مبادئ ثابتة ومستقرة ينبغي تطبيقها في جميع الظروف والأحوال، وليس ردة فعل مؤقتة لأزمة تمرُّ بها الأمة، وبعد انتهاء هذه الأزمة يعود الناس إلى ما كانوا عليه من إسرافٍ وهدرٍ للماء وموارده الطبيعية.

رابعاً: الإسراف الذي تنهى عنه السنة النبوية وتُحذر منه إنما يحصل باستهلاك الماء فيما لا طائل من ورائه من استخدامات، وكذا باستعماله لغير فائدة شرعية، كأن يزيد المسلم في غسل أعضائه في الوضوء على ثلاث مرات.

خامساً: أن السنة النبوية تنهى عن الإسراف في استهلاك الماء، سواء كان مورد هذا الماء قليلاً أم كثيراً.

سادساً: أنه إذا كان المسلم مطالباً شرعاً باجتناب الإسراف في استعمال الماء للتطهر من الحدث الأصغر بالوضوء، وللتطهر من الحدث الأكبر بالغسل، مما يُعدُّ شرطاً لأداء العبادات المفروضة، فهو بلا شك مطالبٌ شرعاً باجتناب الإسراف في استعمال المال والحرص على الاقتصاد فيه في سائر الاستعمالات من باب أولى.

سابعاً: ينبغي على كل مسلم أن يكون عضواً فاعلاً في تحقيق الأمن المائي في مجتمعه، لما تقدم من توجيهات نبوية بهذا الصدد، بالإضافة للأسباب الآتية:

١- لأن الإنسان مستخلفٌ في هذه الأرض وليس مالكاً لها ومواردها، فالأرضُ أرضُ الله وملكه، والإنسان مسؤولٌ أمام الله تعالى عن المحافظة عليها وعلى مواردها وعدم إفسادها والإخلال بها، وعمارة الأرض إنما تكون بالإصلاح والإحياء واجتناب الإفساد والإهدار، يقول النبي ﷺ في مجال الحث على عمارة الأرض (إصلاحها): «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ».

٢- ولأن الماء من أكبر النعم التي خلقها الله، فهو النعمة الكبرى والمنة العظمى التي أنعم الله بها على بني البشر، فبه أقام حياتهم وقَسَمَ أرزاقهم، ومنه خلقهم، حيث يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾. ومن حق هذه النعمة: تقديرها حق قدرها ومقابلتها بالشكر، لكي يحفظها الله سبحانه من الزوال، يقول رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ أَوْ يَشْرِبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا).

«وَشُكْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نِعْمَةِ الْمَاءِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الشُّكْرِ بِاللِّسَانِ، بَلْ يَتَعَدَّاهُ إِلَى الشُّكْرِ بِحُسْنِ التَّصَرُّفِ فِي هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَالِاِقْتِصَادِ وَالتَّرْشِيدِ فِي اسْتِعْمَالِهَا، فَأَيُّ إِسْرَافٍ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ هُوَ بِلَا شَكِّ تَصَرُّفٌ سَيِّئٌ وَسُلُوكٌ غَيْرُ حَمِيدٍ».

٣- ولأن موارد المياه أمانة عند الإنسان، والأمانة لفظٌ عامٌ يشمل كل من أوثمن عليه الإنسان من أمور حسية ومعنوية. وحفظ الأمانة من أهم المبادئ الخلقية التي ينبغي على المسلم أن يتمثلها في حياته، لأنها من الدين، يقول النبي ﷺ: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ).

٤- ولأن الماء وموارده العامة ليست حقاً خاصاً لفردٍ بعينه أو فئةٍ بعينها تتصرف فيه كما تشاء، بل هو حقٌ عامٌ للناس جميعاً في كل مجتمع إنسانيٍّ، يقول النبي ﷺ: (المُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَلاَّ، وَالنَّارِ)، ومن ثمَّ

يجب على كل فرد الحفاظ على هذا الحق العام، واجتناب الإسراف في استخدامه، لدوامه ودوام انتفاع الجميع به.

ثامناً: الأمة المعاصرة بحاجة ماسة إلى هذا الهدى النبوي الكريم الذي ينهى عن الإسراف في استخدام الماء ويسعى إلى تعميم سلوكيات التربية الرشيدة في التعامل مع الثروة المائية، كما أن هذه الأمة بحاجة كذلك إلى تعميق هذه الناحية التربوية لدى الأجيال، لما تتسم به الحياة المعاصرة لدى كثير من الناس من إسرافٍ شديدٍ في استهلاك الماء وهدره في مختلف الاستعمالات اليومية.

المسألة الثانية: حماية الماء من التلوث في ضوء السنة النبوية:

من أهم إستراتيجيات السنة النبوية في تحقيق الأمن المائي: السعي إلى حماية الماء ومصادره وموارده من التلوث، والمحافظة عليها نظيفةً طاهرةً.

وللسنة النبوية في هذا الأمر منهجٌ ربانيٌّ متميزٌ، تتمثل أبرز ملامحه في الحث على الالتزام بالمبادئ والقيم الآتية:

أولاً: اجتناب التبول أو التغوط في الماء وموارده: وقد ورد في هذا المبدأ أحاديث نبويةٌ عديدةٌ، منها: قول الرسول ﷺ: (اتَّقُوا الْمَلَأَ عَنِ الثَّلَاثِ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ لِلْخِرَاءِ)، والمقصود بالموارد موارد الماء كالأنهار والعيون والآبار... إلخ. وما روي عنه ﷺ أنه قال: (لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فِيهِ). وما روي أيضاً عنه ﷺ: (أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّكَدِ).

وقد أشار العلماء إلى أن هذا النهي ليس خاصاً فقط بالنهي عن التبول والتغوط في موارد الماء مباشرة، بل يشمل أيضاً النهي عن القيام بهذا السلوك المشين بالقرب من هذه الموارد.

وقد ثبت علمياً لدى المختصين بعلم الأوبئة أن هناك الكثير من الأمراض والفيروسات والميكروبات تنتقل عن طريق مياه الشرب الملوثة، أمثال: الكوليرا، والتيفوئيد، والبلهارسيا، والتهاب الكبد الوبائي.

ثانياً: تغطية أواني الماء: وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: (غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ)، وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمُرُّ بِنَاءٍ لَمْ يُغَطَّ وَلَا سَقَاءَ لَمْ يُوَكَّ إِلَّا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ)، ومعنى (أوكوا السقاء) أي: اربطوا فوهات أواني الماء لحمايتها من التلوث والأوبئة التي قد تنتقل إليها من الغبار والهواء والحشرات الناقلة للجراثيم والطفيليات كالصراصير والفئران والنمل والبعوض ونحوها.

ثالثاً: اجتناب الشرب من في السقاء: فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: (نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُشْرَبَ مِنْ فِي السَّقَاءِ)، وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ اخْتِنَاثِ الْأُسْقِيَةِ أَنْ يُشْرَبَ مِنْ أَفْوَاهِهَا)، واختناث الأسقية: أن يُقلب رأسها ثم يُشرب منه، فهذه الطريقة في الشرب من أسباب انتقال العدوى عن طريق البكتيريا والميكروبات الموجودة في الفم، التي تنتقل حينئذ إلى الماء فتلوّثه.

ويستفاد من هذا التوجيه النبوي الكريم: أنه ينبغي صب الماء في كأس أو غيره، وألا يُشرب من حافة الجرة أو القربة وفي معنهما الصنبور والقنينة وغيرها اليوم، وذلك للتأكد من صفاء الماء وخلوه من الشوائب والقاذورات، وحفاظاً على نظافة وعاء الماء الجماعي.

رابعاً: اجتناب الشرب من الإناء المكسور أو المشعور: فقد روي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الشَّرْبِ مِنْ

ثُلْمَةَ الْقَدَحِ، وَأَنْ يُنْفَخَ فِي الشَّرَابِ). وقد جاء النهي هنا عن الشرب من الإناء المكسور أو المشعور؛ لعدم إمكانية تنظيفه من الجراثيم العالقة في مكان الكسر، وهذا من المصالح التي تتم بها منفعة الشارب، فإن الشرب من مكان الكسر في القدح أو غيره فيه عدة مفاسد، منها أن ما يكون على سطح الماء من تراب وأقذاء تجتمع كلها في محل الكسر بخلاف الجانب الصحيح، وحتى إن غُسلَ القدح فإن محل الكسر لا يصل إليه الغسل كما يصل الجانب الصحيح، ومنها أنه ربما كان في محل الكسر شقٌّ وتحديدٌ يجرح شفة الشارب، وغير ذلك من المفاسد الكثيرة التي راعاها الشارع الحكيم.

خامساً: اجتناب التنفس داخل الإناء أو النفخ فيه: فقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ).

سادساً: اجتناب غمس اليدين في إناء الماء بعد الاستيقاظ من النوم: فقد روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ).

سابعاً: تخصيص اليد اليسرى للتنظف في الخلاء وإزالة الأذى والقذر: فقد روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: (كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيُمْنَى لَطُهورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلَائِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَدَى)، و(الأذى) في الحديث كلمة عامة تشمل كل ما يمكن أن يندرج تحتها من الضرر، بل بعض العلماء جعلها تشمل كل ما تعافه النفس.

ونستنتج من كل ما سبق في هذه المسألة الأمور المهمة الآتية:

أولاً: أن السنة النبوية حطت بهذه المبادئ والقيم الإسلامية أفضل السبل الممكنة لحماية الماء وحفظه من الملوثات والأقذار والنجاسات ونحوها مما يُفسد الماء وموارده ويمنع من الإفادة منها.

ثانياً: أن هذه المبادئ والقيم التي أمرت بها السنة النبوية وحثت عليها لحماية الماء وموارده ومصادره من التلوث يُعزّزها ويؤكّدها العديد من القواعد والأسس التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، والتي من أبرزها ما يأتي:

أ- النهي عن الإفساد في الأرض، الوارد في مثل قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، ومعلوم أن تلويث الماء بشتى طرق التلوث المختلفة هو إفسادٌ في الأرض، لما يترتب عليه من أضرارٍ جسيمةٍ لكل من يستعمل هذا الماء الملوّث من البشر، وكذا بقية الأحياء الحيوانية والنباتية والمائية.

ب- النهي عن الإضرار بالناس وبيئاتهم في مختلف جوانبها، الوارد في قوله ﷺ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)، فكل ما يضر المسلمين في أرزاقهم ومآكلهم ومشاربهم مُحَرَّمٌ في دين الإسلام، وتلويث الماء من أكبر أشكال الضرر.

ج- النهي عن كل ما يؤدي إلى إفساد حياة الناس وإزهاق أرواحهم، وفقاً للقاعدة الفقهية التي تقول (ما أدى إلى الحرام فهو حرام)، وقد أثبتت التجارب الكثيرة في المجتمعات البشرية أن التلوث المائي يؤدي إلى تَفْشِي الأمراض والأوبئة، وإلى إزهاق الأرواح البريئة، والقضاء على الكائنات الحية، ودرءُ هذا التلوث وسدُّ الذرائعِ الموصلةِ إليه واجبٌ شرعيٌّ.

ثالثاً: أثبتت السنة النبوية بهذه المبادئ والقيم التي تحدثنا عنها آنفاً أن الإسلامَ دينَ الرُقْيَى والحضارة يريدُ لمصادر المياه أن تبقى كما أرادَ الله لها بعيدةً عن كُلِّ ما يُعكِّرُ صفاءَها، ويُلَوِّثُ نَقَاءَها. وتحقيقُ ذلك إنما يُبعدُ المسلم عن كُلِّ الأدرانِ المُكدِّرة، والأحوالِ المنفِّرة، وبذلك يستطيعُ إنجاز مهمته الحضارية في الحياة، ويتمكّن من القيامِ بواجبِ الخلافةِ في الأرض.

رابعاً: أن تلويث الماء وموارده ومصادره لم يعد مقصوراً على البول والبراز ونحوهما من النجاسات التي يمارسه بها فئامٌ من الناس، بل استجدت في عصرنا الحاضر أنواعٌ أخرى أشدُّ خطراً وأوسعُ نطاقاً من هذا كله، أمثال: التلويث بنفايات الصناعات والموادِّ الكيماويَّة السامة، والتلويث بمخلفات النفط والبواخر العابرة للأنهار والبحار، والتلويث بالموادِّ المُشعَّة التي تُخلفها الحروب الطاحنة، ونحو ذلك من الملوِّثات التي تُشكِّلُ خطراً بالغاً على الإنسان وعلى جميع الكائنات المائية الحية، ومن ثم يمكن قياس حكمها على حكم تلويث الماء وموارده ومصادره بالبول والغائط الواردين في الأحاديث النبوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثالثة

ترشيد استهلاك المياه في
ضوء السنة النبوية

د. أحمد المعداوي مكي العفيضي

مدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة - جامعة الأزهر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه
وحزبه، وبعد،

فإن سائر الأحياء تفتقر إلى الماء، فالماء أحد عناصر الحياة الرئيسة؛ لذا فالحياة مرتبطة به لا تنفك عنه، وتستحيل بدونه، ونظراً لأهميته القصوى جعله الله وفيراً غزيراً على الأرض، بحيث يزيد على ثلثي مساحتها، وقد كلف الله الإنسان بعمارة الأرض وجعل له السيادة فيها، وسخر له سائر الأحياء، ومنحه مختلف الأشياء، فأنيط بالإنسان قضية البحث عن الماء وتوفيره، والقيام بحفظه وتطويره، وقد بعث الله الرسل لدلالة الخلق على سبل السعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة، فكانت رسالتهم دعوة إلى صلاح الحال والمآل، والظفر بخيري الدنيا والآخرة.

ولو نظرنا إلى سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أثر عنه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وجدنا أن السنة زاخرة بالتوجيهات السديدة، والإرشادات الكريمة، والتعليمات القوية، التي تحض على تحقيق المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، ويتصدّر الماء أعلى مراتب الضرورات؛ لذا وجّه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى ضرورة حفظ الماء والاقتصاد فيه، ودعا الأمة إلى ذلك بقوله وعمله، فكان هذا البحث محاولة متواضعة لإبراز التوجيهات والسلوكيات النبوية التي رشّدت استهلاك المياه، وقد ركّزت عملي وقصرت جهدي على قضية الاستهلاك؛ لأن الاستهلاك من عمل الإنسان وكسبه، وهب الله الماء، وكثّر موارده، وعدّد مصادره، ولكن عندما يهمل الإنسان استعماله، ويسرف فيه ويلوئه، فإن الكثرة تنقلب إلى ندرة، بل قد يصل الأمر إلى الزوال إذا استمر الإسراف والإفساد.

وتحدّث في المطلب الأول من البحث عن اقتصاد النبي - صلى الله عليه عليه وسلم - في استعمال الماء؛ فهو القدوة لكل من يرجو الله واليوم الآخر، وأفعاله

بتوجيه من الله تعالى ولها القدسية، ويكفي المسلم أن يعلم هديَه - صلى الله عليه وسلم - في استعمال الماء، ليندفع بعدها إلى أتباع هديه - صلى الله عليه وسلم - والتأسي به، رغبة في القرب منه يوم القيامة، والحشر تحت لوائه، والشرب من يده الشريفة، كما يرجو باتباعه تحصيل بركة هديه - صلى الله عليه وسلم - فيتمكن من حفظ الماء وادِّخاره لوقت الحاجة، فاتضح من خلال هذا المطلب زيادة السنة النبوية في اقتصاد الماء وتقدير نعمته، وشمول اقتصاد الماء لمختلف الممارسات الحياتية: اقتصاد في الشراب، وفي الغُسل، وفي الطهي، بل وفي العبادات وشروطها: كالاستنجااء والوضوء والغُسل، فاقصر صلى الله عليه وسلم على أقل ما يُجزئ في الوضوء، واكتفى بالمرّة الواحدة تعليماً للأمة بحدّ الوجوب، حتى لا يتحرّج من اكتفى بالمرّة الواحدة دون التثليث إذا عزّ الماء.

وبذلك سدّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل صور الوسوسة والتنطع في أمر الطهارة والتطهير، ليقطع الطريق على الشيطان، فلا يستهوي الإنسان تحت دعوى الحيطة والحذر، ويلبس عليه أمور الدين؛ ففي الوضوء جعل الزيادة على الثلاث اعتداءً وإساءةً وظلماً، وفي تطهير الأشياء وإزالة النجاسة ينبغي أن يُكتفى بالقليل من الماء، وبالكيف الذي يناسبه؛ فليس إزالة اليبس كالرطب، وليس إزالة القذر كالنجس.

فالماء من أجلّ النعم والهبات التي وهبها الله للإنسان، والنعمة لا بد أن تُشكر حتى تزيد وتبارك، وشكر النعمة من جنسها، فشكر نعمة الماء يكون بتوظيفها فيما يحب الله ويرضى، وعلى الوجه الذي يحبه ويرضاه، وأحسن الهدى هدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولقد رضي الله عن سيرته وأمرنا بسلوك دربه واتباع سنته، ونهانا عن مخالفته والنكوص عن سبيله ولو قدر أمثلة، فلزم بذلك الاقتصاد في الاستعمال تحصيلاً للبركة، وتوفيراً للماء، وادِّخاراً له لوقت الحاجة، كما يكون شكر نعمة الماء بتقديرها وتعظيم ما دقَّ منها، فلا يُهمَل كثير الماء وقليله،

ولا يُطرح على الأرض دون استعمال، فما يتوافر عند شخص يعزّ عند غيره، وإن فاض الماء في دولة ندر في أخرى، فينبغي أن تنظر الشعوب إلى أن الماء حق البشرية جمعاء، فليس من حقّ أحد أن يطغى في استعمال الماء، ويبدده بدعوى وفرته حالاً ومستقبلاً، بل يدرك أن إفراطه في الاستعمال اعتداء على حق غيره، ويسأل عنه يوم القيامة، كما ينبغي تفعيل التكامل بين الدول والبلاد؛ فالدول الغنية بالماء توفره لغيرها ضمن خططٍ مدروسة، وعهودٍ وثيقة، تحقّق النفع للطرفين، وينبغي توعية الشعوب إلى أهمية الماء وأحقية الغير فيه، وهذا ما أصّله رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ودعا إليه فيبين أن المسلمين شركاء في ثلاث؛ منها الماء.

وفي المطلب الثاني بيّنت نهْيَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الإسراف في استعمال الماء، حتى وإن كان في عبادة كالوضوء والغسل، وذلك دفعاً لما يُتوهّم من اعتقاد بعضهم أن الإكثار من الماء في الوضوء قربةٌ وطاعةٌ، ظناً أن كثرت شرط في إسباغ الوضوء، فيبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن الإسراف في الوضوء ممنوعٌ في كل حال، كثر الماء أم ندر، فكان نهْي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الإسراف ولو كان الوضوء من نهرٍ جارٍ، حينئذ يجب الاقتصاد فيه والاقتصار منه على الحاجة.

ولو تعددت الأغراض المفتقرة إلى الماء، وقصُر الماء المتوافر عن الوفاء بجميع الأغراض، لزم الترجيحُ بين الأغراض، وبيان ما يستحق منها التقديم والتأخير؛ فلو سافر إنسان وقلّ زاده من الماء، إن توضأ بما لديه من الماء لم يجد ما يُذهب به ظمأه، عندها يجعل الماء لشرابه، ويقيم ويصلي ما لم يجد غيره من الماء، وكذا لو وجب عليه الغُسل، ولم يكفِ الماء تيمّم وصلّى، ولو تعارض الاستنجاء مع الوضوء، فلو استنجى بالماء لم يجد ما يتوضأ به، اكتفى بالاستجمار لجوازه وتوضأ بما لديه من الماء.

كما بيّنت خلال البحث كيف قضى الإسلام على صور الترفُّع الممقوت، والأنفة المذمومة؛ كمباعدة الحائض وترك مؤاكلتها والشرب من سورها، كما اتضح أنه لا بأس في استعمال سؤر الأدمي في الشرب أو الوضوء ونحوه، بل لا بأس من استعمال سؤر الدواب الطاهرة فيما يناسبه، فإذا لم يضطر المرء لشرب سورها، فلا أقل من أن يستعملها فيما يصلح، ولا يريقها دون فائدة.

وفي المطلب الثالث سلّط الضوء على السبل الوقائية والإجراءات الاحترازية لحفظ الماء وحمايته من التلوث والفساد، والتي أصّلتها وركّزت دعائمها السنة النبوية الشريفة، فجاء النهي عن التبول في الماء، والنهي عن التغوط فيه، وذلك ممنوع شرعاً بطريق الأولى، ويقاس على هذا الإلقاء كل ما يفسد الماء ويغيّره ويفقده حد الطهورية؛ كإلقاء الجثث والقاذورات والنجاسات التي تجعل الأنهار ومجري المياه مستنقعات منتنة، ومصادر وباء، خاصةً في عصرنا الحاضر الذي تكاثرت فيه البشرية، فلو ألقى كل فرد مخلفاته في مجاري المياه، ما وجدنا قطرة ماء صالحة للاستعمال، وفتّح علينا من الأمراض والأوبئة ما لا يعلمه إلا الله، كما هو حاصل في بعض المجتمعات التي تتمتع بكثير من مصادر المياه لكنها أهملت المنحة الربانية، وأساءت التصرف فيها، فذاقت وبال أمرها، وكان عاقبة أمرها خسراً.

واتضح أنّ للسنة النبوية الريادة في وضع الضوابط والآليات التي تحمي الماء من التلوث، وتصونه عن الفساد، فسدّت السنة النبوية كل ذريعة تؤدي إلى فساد الماء، واحتاطت في ذلك، فورد النهي عن إدخال اليد المشكوك في نجاستها إلى الماء، ليظل الماء باقياً على طهوريته، صالحاً لكل استعمال، ولا يصيبه الشك فإراق دون فائدة، كما ورد النهي عن الاغتسال في الماء الراكد حتى لا يفسد الماء ويتغير، وإنما يتناوله تناولاً ليبقى على طهوريته.

وبيّنت في المطلب الرابع من البحث أن للإنسان دوراً في توفير الماء اللازم لحاجته، فالماء إذا شح ونُدِر لا يصح أن يقعد الإنسان عن طلبه، ويتكاسل في التنقيب عنه، ويتقاتل مع غيره على القليل منه، بل يبذل جهده في التماسه ويحتال في طلبه، بما أُوتِيَ من قوة، ويسخر ما أنتجه العلم الحديث والتطور التكنولوجي من أجهزة وآلات للبحث عن الماء، واستخراجه من مظهره، وفي الوقت ذاته يتوجه إلى الله تعالى ويتضرع إليه ويسأله السُّقياً تأسياً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام.

وذكرت في المطلب الأخير من البحث أن التزام آداب شرب الماء عامل كبير في حفظ الماء، والاكتفاء منه بالقليل، وتجنب الإسراف فيه، فالبسملة تمنع الشيطان من مشاركته، ويبقى الماء على أصله في البركة، كما أن الحمد في آخره اعتراف بالنعمة وإقرار بها، وإذا تحقق اعتراف القلب بالنعمة، وذكر اللسان لها، وكانت النعمة مسخرة لما يرضي المنعم، فقد تحققت أركان الشكر، والشكر باب الزيادة، ومتى تحقق الشكر على نعمة الماء بورك الماء، وحصلت به الكفاية، وتمت له الوقاية.

وفي الختام أرى أنه من الضروري تفعيل دور التذكير بمكانة الماء وذلك بوضع اللافتات التي تحرّض على الاقتصاد في استعمال الماء، وصيانته من التلوث، وحفظه من الضياع.

كما أوصي بتفعيل قانون العقوبة لمن ثبت عنه تلويث المياه وإفساد مجاريها. هذا والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثالثة

التوجيهات النبوية نحو ترشيد استهلاك المياه
في ضوء السنة النبوية وواقعنا المعاصر

د. محمد ضاحي عبد الرؤف حافظ

دكتوراه في الدراسات الإسلامية
مدرسة بالأزهر الشريف - مصر

الماء من أعظم النعم التي أنعمها الله عز وجل علي الإنسان، فالماء هو سر الحياة، فمن شكر الإنسان لله عز وجل على هذه النعمة الحفاظ عليها، وقد حاولت في هذا البحث استعراض توجيهات الشريعة الإسلامية في الحفاظ على الماء، لإبراز سمو الشريعة الإسلامية، ورفيها في التعامل مع الماء.

قضية النقص في مياه الشرب من القضايا الملحة محلياً وعالمياً في مناطق عدة من العالم، وتسعى جهات عديدة لمعالجة هذه المشكلة بإيجاد مصادر جديدة للمياه مع المحافظة على المصادر القديمة، وحمايتها من التلوث، ورفع كفاءة استعمالها.

وإسهاماً في هذه الجهود يتقدم الباحث بهذه الدراسة حول ترشيد استهلاك المياه في ضوء التوجيهات النبوية؛ إيماناً منا بالدور الكبير الذي يتبوّوه الجانب الديني في حياة الناس، وطرحاً لموضوع حيويّ فعال، وحاجة مهمة تلامس واقع الحياة اليومي، وتثبت قدرة الشريعة الإسلامية على حل مشكلات المجتمعات المعاصرة من منطلق الارتقاء بأساليب التعامل مع المياه فضلاً عن النظرة الكلية لموضوع الموارد الطبيعية جميعها.

ولعل من أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا البحث ما يمثله الماء من أهمية؛ فهو أساس الحياة؛ يمثل ثلثي الأرض بل يزيد، إلى جانب إبراز دور السنة النبوية في معالجة هذه الموضوعات، بالإضافة إلى التنبيه على خطورة سوء التعامل مع المياه لا سيما في واقعنا المعاصر؛ لذا وجب التنبيه على أن المحافظة على الماء من المقاصد السامية للشريعة الإسلامية.

إن الاستعمال غير الصحيح للمياه سواءً أكان ذلك في العبادة أم التنظيف أم الري أم غيرها واحد من أهم أسباب تفاقم مشكلة نقص المياه؛ ويأتي هذا البحث ليتناول هذا السبب وما يتصل به بحيث يرشده ويضبطه على وجه عقدي إيماني

راسخ في النفوس يجعلها أكثر قبولاً للحلول المطروحة، ويسهم في النهاية بالحد من المشكلة.

فيتجه هذا البحث إلى معالجة الجوانب السلوكية في التعامل مع المياه في الحالات العادية، فبينه الباحث للتعامل مع الوسائل الموجودة لتحلية المياه ونقلها وتوزيعها، ويعالج طرح بدائل أخرى كالأستعاضة عن الحفنيات بأخرى أقل هدرا أو غير ذلك.

وقد تعرضت في البحث للحديث عن أهمية الماء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فالماء نعمة الله - عز وجل - للخلق أجمعين، وآية من آيات الله في الكون، وسر هذه الحياة الذي لا تقوم إلا به؛ قال تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي» وأكثر شيء موجود على هذه الدنيا، وأعز مفقود حيث لا تستقيم الحياة بدونه؛ حيث الإنسان والنبات والحيوان وسائر المخلوقات يعيشون عليه ويحتاجونه.

ففي القرآن الكريم ورد الكلام عن الماء ومعانيه، وأنواعه ومجاريه، واستخداماته المتعددة في خمس مئة آية؛ فكلمة ماء وردت ثلاثاً وستين مرة، وكلمة نهر وأنهار وردت اثنتين وخمسين مرة، وكذلك وردت العيون والينابيع والمطر والبرد عشرات المرات.

وفي الحديث النبوي أشار النبي ﷺ إلى مكانة الماء في الإسلام فقال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى؛ إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً؛ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله به فعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به^(١)».

١ - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علم علم، ١ / ٢٧، برقم (٧٩).

والعالم أجمع أدرك أهمية الماء والدعوة للمحافظة عليه سواء بين الدول الفقيرة في مصادر المياه، والدول الغنية، حيث أصبح الماء مكلفا على الدول سواء في استخراجها، وجعله صالحا للشرب والحياة، أو في تصريفه وإمكانية التخلص منه، والإفادة منه بعد الاستعمال.

فالدول الفقيرة تنفق ملايين الدولارات في الدعوة إلى الترشيد والاقتصاد في استخدام المياه؛ لأن استخراجها مكلف بالنسبة إليها ويرهق ميزانياتها، والدول الغنية في مصادر المياه تنفق أضعاف ما ينفقه الفقراء على استخراجها في التعامل معه بعد الاستعمال.

ومن هنا ندرك حجم المشكلة وأهميتها على مستوى العالم أجمع، وإذا رجعنا إلى الشريعة لنعرف النظرة الشرعية للتعامل مع هذا الموضوع المهم والحساس أدركنا من خلال هذه الدراسة والنتائج المترتبة عليها أهمية النظرة الشرعية إلى موضوع ترشيد الماء وكيفية التعامل معه.

ويتضح هذا من خلال العودة إلى السنة النبوية المطهرة في التربية في التعامل مع الماء، وأثرها في ترشيد الاستهلاك المائي، والتوفير على الدولة والأمة في تكلفة الماء المستعمل، وينعكس هذا بالضرورة إيجابا على التعامل مع الماء بعد الاستعمال؛ حيث النظرية تقول: كلما قل استخدام الماء كان هناك توفير في التعامل معه بعد الاستعمال.

وهنا ندرك أننا بحاجة إلى أن نعود إلى السنة النبوية للإسهام في حل المشكلات.

فقد أوجدت السنة النبوية تدابير مثالية وآليات فعالة للحفاظ على المياه الصالحة للشرب، حيث لا مجال لاستعمالها إلا بقدر الحاجة ووفق ما تستلزمه الضرورة؛ ومن ذلك:

ماء البحر: تقالّ بعض صحابة رسول الله ﷺ وهم ركوب البحر كمية الماء الصالحة للشرب التي معهم أيشربونها؟ أم يتوضؤون منها؟ فلما ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ أجاز لهم استعمال ماء البحر في الوضوء، بل أحل لهم أكل ميتته أيضاً؛ فقال أبو هريرة، يقول: سأل رجل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفئتوضأ من البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: هو الطهور ماؤه، الحل ميتته^(١) فكان بذلك فضل السبق للسنة النبوية في سن هذه الآلية منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، وها هم الخبراء في هذا الزمان يتفطنون لهذه الآلية، وينادون بوجوب تحلية مياه البحار!

وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها؛ فقد تبين للباحث أن للسنة النبوية فضل السبق في التنبؤ بحدوث أزمات المياه، وفضل السبق في ترشيد استهلاك الماء، وهذا يمثل جانباً حياً للقيمة الحضارية للماء في السنة النبوية. لذا بات الاقتصاد في استهلاك المياه وعدم الإسراف فيه فرض عين على كل أفراد المجتمع، ويجب على مؤسسات المجتمع تكثيف الجهود إلى ترشيد استهلاك المياه وعدم الإسراف فيه.

وقد انتهت إلى بعض التوصيات باللجوء إلى الخبراء في مجال المياه للتوصل إلى تكنولوجيا حديثة تقلل الفاقد من المياه، وتساعد على ترشيد الاستهلاك.

١ - أخرجه الإمام الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر، ١ / ١٢٥، برقم (٦٩) قال هذا حديث حسن صحيح، وقال البخاري: هو حديث صحيح فيما نقله عنه الترمذي في العلل الكبير: ص (٤١)

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثالثة

الإستراتيجيات النبوية وآثارها في
تعزيز إدارة الطلب على الماء

د. أسماء محمد أمين حسن بني عامر
دكتوراه في الحديث الشريف وعلومه - الأردن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي
الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم
الدين أما بعد:

أيها الحضور الكريم، على اختلاف مراتبهم ومكانتهم السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته.

في بداية الأمر لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأمانة العامة لندوة
الحديث الشريف؛ لما تقدمه من جهود في خدمة السنة النبوية، كما أتقدم بالشكر
الجزيل لكل من أشرف على هذا المؤتمر وكان له دور في إنجاحه، أو المشاركة فيه،
فبوركت جهودكم، وجزاكم الله خيراً.

وإنه لشرف لي أن أشارك بجهد المقل مع ثلة من العلماء والباحثين وطلبة
العلم في الندوة العلمية الدولية العاشرة الموسومة بـ: «الأمن المائي في السنة
النبوية - الإستراتيجيات والمقاصد»، التي تنظمها جامعة الوصل في دبي بدولة
الإمارات العربية المتحدة، وكنا نود أن تكون هذه المشاركة عن قرب، ولكن
اقتضت إرادة الله أن تكون مشاركتنا فيها عن بُعد بسبب هذا الوباء الذي نسأل
الله أن يرفعه عن أمة الإسلام جمعاء.

سنشير في هذا العرض المختصر إلى ماتم عرضه في الورقة البحثية التي كان
لي شرف المشاركة بها وكانت بعنوان: «الإستراتيجيات النبوية وأثارها في إدارة
الطلب على الماء».

يقول تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي»؛ فالماء مصدر الحياة والعيش
الكريم والازدهار؛ فهو يدخل في كل جوانب الحياة من زراعة وصناعة و طاقة
ونقل وغير ذلك، وقد يمثل عدم الاستغلال الأمثل للماء خطراً كبيراً على الأمة؛
فلذلك تعد قضية الأمن المائي من أبرز القضايا في العصر الحديث، وقد ألفت

كتب عديدة في إدارة الطلب على الماء، وعند الاطلاع عليها وجدت أن ماتضمنته من إستراتيجيات لتعزيز إدارة الطلب على الماء كلها تأصيل إسلامي في السُّنة النبوية، وليست وليدة العصر الحاضر مما ولد لدي فكرة الكتابة عن هذا الموضوع؛ فمفهوم إستراتيجية إدارة الطلب على الماء مفهوم يعتمد على حسن التخطيط الذي يقوم على استخدام مجموعة من الإجراءات لتحقيق أعلى جودة من الاستدامة المائية وتوزيعها بعدالة، وقد وردت أحاديث متعددة تبين هذه الإستراتيجيات، ومنها جعل ملكية الماء عامة للجميع، كما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «المُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: الْمَاءِ وَالْكَالِ وَالنَّارِ»؛ فبموجب الشراكة لا يجوز الاعتداء على حق الآخرين في استعمال الماء لما له من أثر في انعدام الأمن المائي، بل وصل الأمر إلى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نظّم أمر استعمال الماء، كما ورد في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «قَضَى فِي سَيْلٍ مَهْزُورٍ، وَمُذْنِبٍ أَنْ الْأَعْلَى يُرْسَلُ إِلَى الْأَسْفَلِ، وَيَحْبَسُ قَدْرَ كَعْبَيْنِ»، وبذلك وضع أولويات، وفي جعل ملكية الماء عامة قضاء على مشكلة خصخصة المياه، التي تعد من أعظم المشكلات المعاصرة، بل نجد أن الإسلام شجع على صدقة الماء وجعلها من أفضل الصدقات، وتبقى صدقة جارية أجرها للمسلم بعد موته، كما جاء في حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «سَبْعُ تَجَرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ... وَذَكَرَ مِنْهَا: أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بئرًا،...» وشجّع على المبادرات الفردية لحل مشكلة الماء، كما جاء في قصة بئر رومه التي اشتراها عثمان وجعلها وقفًا للمسلمين.

ومن الإستراتيجيات الأخرى إيجاد البدائل وتنويع المصادر المائية وذلك لضمان الاستدامة المائية، وهذا يكون بالتشجيع على حفر الآبار المائية، ووضع الأجر العظيم على ذلك، كما ورد في قصة سعد عندما سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «الْمَاءُ» فَحَفَرَ بئرًا، وَقَالَ: هَذِهِ

لَأُمَّ سَعْدٍ»، وأيضاً أوجد البدائل حال الحاجة إلى الماء باستعمال ماء البحر، وذلك عندما سُئِلَ صلى الله عليه وسلم عن الوضوء بماء البحر فقال: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»، ولاننسى ماء الينابيع والعيون فقد استعمالها النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزواته مثل: عين تبوك .

وهناك إستراتيجيات أخرى وهي المحافظة على المصادر المائية من التلوث والإسراف؛ فيجب حماية المياه والمحافظة عليها وذلك بترشيد الاستهلاك، كما جاء في قصة وضوء سعد وقول النبي صلى الله عليه وسلم له: ما هذا السرف ياسعد؟ فمع أن الحديث فيه ضعف لكن هناك آيات وأحاديث تحث على عدم الإسراف في أي أمر من أمور حياتنا لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾. ولاننسى تطبيق النبي الكريم لهذا الأمر بفعله كما جاء في حديث أنس - رضي الله عنه - حيث قال: «كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَغْسِلُ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ، بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ»، وقد ورد عنه أنه قال في قصة الأعرابي الذي سأله عن الوضوء، فأراه ثلاثاً ثم قال: «هَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ، وَتَعَدَّى، وَظَلَمَ».

وقد نهى النبي أيضاً عن تلويث الماء بأي نوع من الملوثات؛ فلذلك أمرنا صلى الله عليه وسلم بإيكاء القرب، وعدم التنفس في الإناء، وعدم البول في الماء ثم استعماله، لما ورد من حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ».

وفي المبحث الثالث والأخير تعرضت للآثار المترتبة على تحقيق إستراتيجية إدارة الطلب المائي سواء كانت آثاراً دينية متمثلة في وجوب الالتزام بالتشريعات النبوية من أجل تحقيق الأمن المائي، حيث إن إيماننا بأهمية تحقيق الأمن المائي يجعلنا نبذل كل مانستطيع من أجل تحمل مسؤولية المحافظة على هذه النعمة، بل إن التوجيهات النبوية أرشدتنا إلى استعمال كل ماينفعنا من وسائل حديثة تسهم

في ترشيد الاستهلاك، لقوله -صلى الله عليه وسلم- في حديث رافع بن خديج -رضي الله عنه-: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ».

أما الآثار الأخلاقية فلها دور في تقوية العلاقة بين الأفراد من جهة، وبين الأفراد والدولة من جهة أخرى، إضافة إلى دورها في تنمية خلق التعاون، ولا ننسى دورها في تنمية روح المبادرة لدى الأفراد للإسهام في حل مشكلات الطلب على الماء.

أما الأثر الاقتصادي فيتمثل في دور إدارة الطلب على الماء في التنمية الاقتصادية في مجالاتها المتعددة من زراعة وصناعة وغير ذلك، إضافة إلى أثره في توسيع المشاريع الاقتصادية وإثرائها، وتحقيق الأمن الغذائي والأمن الوطني للأمة والفرد.

أما الآثار الصحية والبيئية فهي متمثلة في إيجاد مجتمع سليم بعيد عن الأمراض والأوبئة، لما للماء من أهمية في المحافظة على صحة الإنسان والحيوان والنبات، إضافة إلى أثره في تحقيق التوازن البيئي.

وفي الخاتمة تعرضت إلى أهم النتائج التي توصلت إليها في أثناء دراستي ومن أبرزها:

أولاً: إن إستراتيجية الأمن المائي مفهوم يقوم على حسن التخطيط الذي يعتمد على استخدام مجموعة من الإجراءات لتحقيق أعلى جودة من الاستدامة المائية وتوزيعها بعدالة.

ثانياً: إن تحقيق الأمن المائي للأمة من أهم الأمور التي تكفل للأمة أمنها واستقرارها، ويعطيها القدرة على مواجهة التحديات.

ثالثاً: وضع الإسلام أحكاماً متعددة لضمان تحقيق الأمن المائي في المجتمع الإسلامي، فقد حرصت السنة على حماية الماء من كل ما يسبب انعدام أمنه.

رابعاً: لتحقيق الأمن المائي أسباب كثيرة تعرضت لها السنة قولاً وفعلاً، وذلك من أجل حماية الحياة من كل ما يؤثر فيه.

خامساً: الالتزام بالتوجيهات النبوية في الاستعمالات المائية من عدم إسراف في المياه أو تلويثه، يعد من أهم أسباب تحقيق الأمن المائي في المجتمعات.

سادساً: يؤدي ترشيد الاستهلاك المائي دوراً كبيراً في الحد من المشاكل المائية التي تعاني منها الأمم في الوقت الراهن.

سابعاً: يعد تخصيص المياه من الأسباب العظمى لوجود المشكلات المائية في المجتمعات المعاصرة، وهذا ما بينته السنة بالتوجيه إلى جعل ملكية الماء عامة وليست خاصة وذلك للتأكيد على وجوب العدالة في التوزيع.

ثامناً: يعد وجود البدائل المائية من أهم أسباب حل المشكلات المائية في الوقت المعاصر، وذلك للإفادة من كل الموارد المائية من بحار وأنهار وآبار وبرك وغيرها.

تاسعاً: لإدارة الطلب على الماء آثار متعددة منها: دينية، وأخلاقية، واقتصادية، وبيئية وصحية، ولا يمكن تحقيق هذه الآثار إلا بالالتزام بالتوجيهات النبوية.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثالثة

إستراتيجية التسويق للأمن المائي
من منظور السنة النبوية

أ. د. رقية عبد الله بوسنان

أستاذة في علوم الإعلام والاتصال
بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الاسلامية - الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ...

الماء هو الحياة والأمن والسلام، ويؤكد على ضرورته الحياتية، النص القرآني: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠)، كما يؤكد عليه النص السنّي: «كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ»، فلا حياة لأي عنصر مادي ولا استمرارية إلا به، والأمن المائي يعني الأمن الغذائي والتجاري والصناعي والصحي والسياسي، وقد جاء هذا البحث ليبرز نقطة في غاية الأهمية هي إستراتيجية التسويق للأمن المائي من خلال نصوص السنة النبوية التي تعد مرجعا أصيلا وكنزا معرفيا يعمل على التوجيه والترشيد والاستقرار.

أظهرت الورقة أهمية إدارة الأمن المائي عمليةً متطورةً تتطلب الاهتمام بقطاع المياه والموارد المائية، والاهتمام بالمعلومات والتجارب حولها، كما تتطلب الدعم المؤسسي، وفنون التنظيم، والقدرة على التغيير، وهيكله الإدارية التكوينية، والحرص على تحقيق أشكال جديدة من العلاقات لمواجهة التحديات والمشكلات الجديدة، وأوضحت أهمية الأمن المائي عبر الحدود الذي يدعو إلى تحفيز التعاون الإقليمي، وتدعيم الحوار حول القضايا المتعلقة به وأهمها قضايا التنمية المستدامة بكل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والصحية.

كما أبرزت مدى ارتباط عناصر التنمية وانتعاشها وترافقها مع أمن المياه، فلا زراعة من غير توفر هذا العنصر الحيوي الذي تكرر ذكره في القرآن الكريم وهو مرتبط بعملية إحياء الأرض بإحياء زرعها ونباتها، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الانعام: ٩٩)، وأكد على ذلك

الحديث الشريف، «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ...»

ولا يمكن أن تنتعش التجارة إلا بالأمن المائي وأمن الحدود الأمنية التي تسخر لنقل البضائع، والتبادل بين الدول، عبر الناقلات ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ (إبراهيم: ٣٢)، وقد أكدت السنة النبوية على حيوية مياه البحار لتحصيل الصيد الوفير وإتاحته لجميع الناس على اختلاف أعراقهم وانتماءاتهم وجغرافية مواطنهم، «وَأَمَّا الْبَحْرُ فَأَنَا نَرَى أَنْ سَبِيلَهُ كَسَبِيلِ الْبَرِّ، إِنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، فَنُؤَذِّنُ فِي الْبَحْرِ أَنْ يَتَّجَرَ فِيهِ مَنْ شَاءَ، لَا يُحَالُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُ».

يؤدي الأمن المائي دوره الأساسي في المحافظة على الثروة الحيوانية، وبصفة متعددة حيث ينتعش الزرع والعشب والكلأ، والثمر، الذي تتغذى عليه، فتغدق السماء بجود مائها على الأرض التي تحتفظ به بصفة طبيعية أو اصطناعية، ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٧)، وهو الماء الذي تحتاجه سائر الحيوانات ويستدعي الوسائل المختلفة لتزويدها به، فتنفع وينتفع معها الفرد والمجتمع.

وأظهرت نصوص السنة أهمية الماء وتوفيره في المحافظة على صحة الإنسان، وصحة البيئة من حيث صلاحيته لمعالج الأمراض، « خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءٌ زَمْزَمَ، فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ، وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ...»، فالماء هو أصل حياة كل خلية، ومعظم الأدوية تحتاج إلى هذا العنصر، كما يحتاج إليه الفرد في نظافة المكان والجسد وهو عنصر حيوي لتحقيق العبادة المترتبة على استعماله في الوضوء «ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْحَوْضِ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ قُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ مِنْ مَتَوَضَّأِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -»، ويرد في السنة

النبوية ما يدل على وجوب التعايش حول الماء لأنه ضروري للجميع ، وفي هذا التعايش ما يؤدي إلى تحقيق تنمية عادلة ومفيدة للجميع ، «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ...».

أوجزت الورقة أهم المشكلات التي تعترض قطاع المياه وما يتعلق به، وهي مشكلات ناتجة عن الطبيعة، وعن سوء الاستغلال والإدارة والتنظيم، ومنها شح الماء وانخفاض مستواه، وينتج ذلك بسبب غياب المشاريع الكبرى والفعلية لتخزين المياه، بالإضافة إلى النقص الطبيعي وقلة مياه الأمطار أحيانا، وتمثل هذه المسألة تحدياً عالمياً مع تزايد ارتفاع السكان، وهو ما يترافق مع زيادة الطلب على الماء، ثم مشكلة نقص قنوات الصرف الصحي حيث تقوض المياه الملوثة الجهود المبذولة لإنهاء الفقر المدقع والمرض في البلدان الأكثر فقرا في العالم.

وتأتي مشكلة تدمير النظام البيئي المائي، الذي يدخل ضمن الصورة المشار إليها صراحة في الآية إلى جهة هذا التدمير وهو الإنسان ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم: ٤١)، والذي يعد السبب المباشر في الإخلال بنظام البيئة المائية، وتوازنها من خلال أعمال التدمير كتجفيف البحيرات وقطع الأشجار، وردم الآبار والمستنقعات، ومشكلة الكوارث ذات الصلة بالعواصف والفيضانات، ويعني تجاوز الحدود الطبيعية لنظام المياه، أو التراكم المدمر للمياه على المناطق التي يتم غمرها عادة بالماء المنهمر وهو المتدفق بغزاره ولمدة طويلة من السماء فيهلك الزرع والحراث، يقول تعالى: ﴿فَفَحَّحْنَا آبُوبَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (القمر: ١١).

وبالنظر إلى هذه المشكلات، تعمل إستراتيجية التسويق لهذا الأمن وفق المخططات والأساليب والمقترحات التي تضمنتها الأحاديث النبوية، بالقول أو الممارسة أو الإقرار، فأظهرت أنواعاً مختلفة ومتعددة تتناسق مع الدعوات

الدولية للمحافظة على الموارد المائية، التي تثير إشكالات كثيرة إقليمية ودولية، تؤدي أحيانا إلى التوتر بين الدول المشتركة الحدود المائية، وهو ما يجب التحذير منه ومحاولة توزيع المياه بالشكل المعتدل الذي ينتفع منه الجميع .

حرصت نصوص السنة النبوية على ضرورة تفعيل آلية المحافظة على الآبار واستغلالها بطرق متعددة، كأسلوب استراتيجي للتسويق للأمن المائي، وقد ثبت أن النبي -صلى الله عليها وسلم- أولى عناية خاصة بها، فشهد التاريخ آباراً متعددة في مكة والمدينة، وكان -صلى الله عليه وسلم- يستعمل ماءها وفقاً لنوع الحاجة، «فطلب تغسيله من بئر غرس»، «إِذَا مِتُّ فَأَغْسِلْنِي بِسَبْعِ قَرَبٍ مِنْ بَيْرِي، بَيْرِ غَرْسٍ»، وارتوى من بئر بضاعة «شَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ بَيْرِ بُضَاعَةَ»، وعني بعض الصحابة بهذه الوسيلة، فاشترى عثمان بئر رومة وجعلها وقفاً للمسلمين .

ومن الأساليب الإستراتيجية التي سوقت لها نصوص السنة النبوية، محاربة الإسراف، والاهتمام البالغ لترشيد التعامل والاقتصاد في المياه على الأشكال المختلفة التي تتوافر بها، سواء بالطريقة الاصطناعية أو على هيئتها في الطبيعة، وذلك للمحافظة على مواردها بكل الطرق، فجاء النهي عن الإسراف في الماء واضحاً جلياً، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ بِسَعْدٍ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرْفُ؟ فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ» .

وتعد محاربة تلويث المياه ومداومة المحافظة عليها من المسائل التي حظيت بالنقاش في جلسات ومؤتمرات متخصصة وعامة، وتصدرت جداول أعمال المنظمات الحريصة على قطاع المياه، وهو الأمر الذي ركزت عليه السنة النبوية وعنت به عناية خاصة من خلال النهي عن تلويث المياه، «اتَّقُوا الْمَلَأِينَ الثَّلَاثَةَ: الْبِرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظَّلَّ»، ومن خلال الأمر بالمحافظة عليه

من كل ما يعكر صفوه، من كائنات ملوثة مجهرية وغير مجهرية، فيضيع وتضيع الفائدة منه» غَطُوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَغْلَقُوا الْبَابَ، وَأَطْفَأُوا السَّرَاحَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سَقَاءَ، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرِضَ عَلَىٰ إِيَّائِهِ عُوْدًا وَيَذْكَرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ الْفَوَيْسِقَةَ تَضُرُّمُ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ».

وأشارت نصوص السنة إلى إقرار زكاة الماء وكفاية المحتاجين منه، والتركيز على ضمان الوصول العادل إلى المياه المأمونة والصرف الصحي للفقراء والضعفاء والمتضررين من الكوارث، ويبرز في هذا المحور أهمية التكافل في توفير المياه لمن يطلبها أو يحتاجها، وهو التكافل الذي يثاب عليه الفرد في الآخرة، عَنْ كُدَيْرِ آلِ ضَبِّيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: تَقُولُ الْعَدْلَ، وَتُعْطِي الْفَضْلَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاعْمُدْ إِلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِكَ وَسَقَاءَ، فَانْظُرْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ لَا يَشْرَبُونَ الْمَاءَ إِلَّا غَبًّا؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْطُبُ بِعَيْرِكَ، وَلَا يَنْخَرِقُ سِقَاؤَكَ - حَتَّى تَجِبَ لَكَ الْجَنَّةُ».

تحرص السنة النبوية على أن يكون الماء متوافرا لجميع الناس حسب حاجاتهم، والاشترك في ما يفضل منه على ملكية منابعه، فيفيد منه الجميع، ويشتركون في الانتفاع به من صورٍ عدّة. هذا الإقرار هو جزء من تحقيق الأمن المائي للجميع، ولا ينبغي احتكار الماء بأي شكل من الأشكال «لَا يَمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيَمْنَعَ بِهِ الْكَلَاءُ»، ولا يجوز للشخص الذي يملك بئرا أو غديرا أو شبه ذلك، أن يمنع عنه أحدا، فالناس شركاء في هذه الأمور.

ويعكس إبراز الجانب التعبدية ونظام التسيير الكوني، أسلوباً إستراتيجياً مهماً وهو يتعلق بالجانب الروحي والنفسي، فالتعبد إلى الله، بالصلاة والدعاء

على مستوى المجتمع المحلي، والمهارات في الإدارة المحلية المشتركة لموارد المياه .
يمكن الاستعانة بالهدي النبوي في تعزيز التعليم المائي وفق برامج مسطرة،
تعهد إلى مؤسسات التربية والتعليم، بوصفه مرجعية أصيلةً وقيمةً عنت بها حتى
المؤسسات الغربية، لما تشتهر به شخصية الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -
في قيادة الدولة وإقامتها على أسس سليمة، ومنها أساس العدل وتوفير الأمن
بجميع أشكاله، ومنها الأمن المائي، فالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ونصوص
الحديث الشريف كفيلة بتقديم منهاج تعليمي متناسق يشمل طرق التسويق
وأساليبه لهذا الأمن واستشراف أبعاده التنموية وتداخله مع العناصر المشكلة لها.

مكتب الأمانة العامة

Whatsapp : 00971509203893

هاتف - فاكس : 043965774 - ص.ب. 50106 - دبي - ا.ع.م.

البريد الإلكتروني : hadithsh@emirates.net.ae

موقع الأمانة العامة : <http://www.nadwa-hadith.com>

صفحة الندوة على فيس بوك / تويتر / يوتيوب: ندوة الحديث الشريف الدولية دبي